

يوجن فون



السَّعَادَةُ امْرَأَةٌ

السعادة امرأة !

نيتشه

صورة الغلاف

صورة (لوسالومه)، وهي الفتاة التي أحبّها نيتشه، وعرض
عليها الزواج فأبّت. ومن يدري؟ فقد يكون لعبارة نيتشه
(السعادة امرأة)، عنوان هذا الكتاب، بهذا الرفض صلة!

السَّعَادَةُ أَمْرَأَةٌ!

يوجنِيَا قَمِير



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

طبعة أولى

١٩٩٨



٩٩ شارع الصوراتي • بيروت • لبنان • فاكس ٣٥٤٣٩٤ (٠١)
٣٥٤٨٩٨ (٠٢) ٣٥٣٥٠٨ (٠١) ٤٩٩٠٧٤ (٠١) ٧٤٦١٣٠ (٠١)

أسعيد أنت في دنياك؟
إن تكنهُ فما الذي يُسعدك؟
وإن لا فما الذي يحول دون سعادتك،
أو يعوزك؟

هدف هذا الكتاب هدایتك الى جواب،
يهديك فلاسفة، وحكماء،
وقد تهتدي بما اهتدى المؤلّف إليه
بعد طول عناء.

هذا كُلُّ ما في هذا الكتاب،
وهو من أحطر ما جرى به يراغع،
لأنه يبغي إسعادك،
أسمى ما تصبو إليه، غاية الغايات، وأغلى الرغبات!
ي. ق.

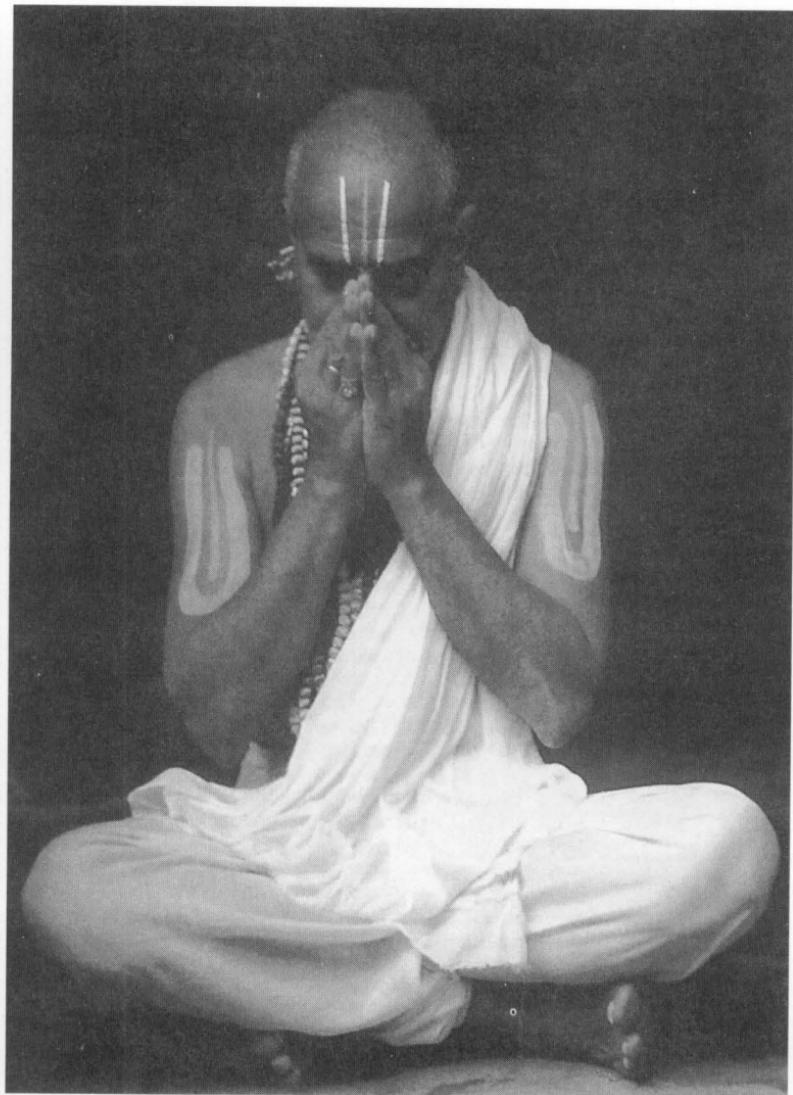


Lou Salomé in 1882, the year Nietzsche met her

سنة ١٨٨٢

لقي نيتشه لو سالومه

سعادة الهندوسي
فناء في الله!



يوجي في تأمل
الله في كلّه

يؤمن الهندوسي في ما يؤمن به:

أ - بوحدة الوجود:

برهمن، أي الله، موجود أول، واحد أحد، أزلي أبدى.

ويرهن قادر على كل شيء، عالم بكل شيء، لامتناهي الكمال.

ويرهن ما خلق الكون من لا شيء، ما قال له: كن فكان،
بل تخلّي فيه: تخلّي في كل موجود، في آلهة ثانويين، وفي أرواح،
صالحة أو شريرة، وفي نفس الكون الكلية - ومنها نفس الإنسان
الجزئية - وفي الحيوان والنبات والجماد.

ماثل برهمن في كل موجود، حاضر في كل حي، عامل فيه.

برهمن هو الرأس ونحن شعره، وهو النار ونحن شرها، وهو
الشمس ونحن أشعتها، وهو البحر ونحن قطرات مائه.

ب - بطوائف خمس هي:

١ - البراهمة: أهل الدين والعلم، أهل العقل والنور والحكمة.

٢ - المخاربون: أهل الحكم، وال الحرب، والعدل، والنبلاء.

٣ - العمال: الرعاة، وال فلاّحون، والتجّار، والصناعيون،
وأهل المال.

٤ - الخدم: القائمون بخدمة الطوائف الثلاث السابقة، وتطغى
فيهم الحواس.

٥- المبودون: كانوا، في حياتهم السابقة أو الحالية، يتسبّبون إلى أحدى الطوائف الأربع السابقة، ولكنّهم خرّجوا على الناموس خروجاً فادحاً، غير مأْلوف، فصاروا منبودين^(١).

الولادة في هذه الطائفة، أو تلك، لا تحدُث اتفاقاً، بل هي نتيجة ما عملَ الإنسان، من خير أو شرّ، في تناصخاته السابقة، فلكلّ مولود طاقاته وميوله، وولادته في طائفة ما ناتجة من تفوّقه في ما تقوم به هذه الطائفة: يولد برهميّاً، مثلاً، إنْ تفوقَ عقله، ويولد خادماً إنْ تفوقَ حواسه، وهكذا.

لكلّ طائفة واجبها الخاصّ، وعليها أن تقوم به، أيّاً تكون الصعاب. يُمْنَع التزواج بين طائفة وطائفة، وتندِّر التحاوزات. وتُمْنَع المؤاكلة كذلك، بل تُمْنَع طائفة من أكلِ ما أعدّته طائفة دونها، ويأكلُ أيّ هندوسيّ ما يُعِدُّه البرهميّ. للطوائف الأربع الحقّ في ممارسة العبادات الدينية، وفي ممارسة اليوغا، على أنواعها.

نظام الطوائف ضروريّ، وزواله زوال الناموس، والسلالة، والخلق، وتزول الثقافة القيدية كلّها، إذا ما زال البراهمة.

ج - بناموسٍ يخضع له الكون، ويخضع الإنسان، يخضع كُلُّ عضوٍ لناموس طائفته. الخضوع للناموس خير، والخروج عليه شرّ، والانسان حرّ، قادر على الخضوع والخروج.

(١) طالب غاندي بـلغاء المبودية، واستحباب، فلم يبقَ سوى طوائف أربع.

د - بشقاء الانسان في هذا العالم، فهو يعاني الألم، والمرض، والهرم، والموت، وكلّ كوارث الدهر!...

ه - بالتناسخ، بعودة النفس البشرية، بعد الموت، الى جسد انسان أفضل، أو أسوأ، بل الى جسد حيوان، إذا ما قصر صاحبها في التقيد بناموس طائفته.

و هم الهنودسيّ الأكبر بلوغ النفس كما لها، عبر التناسخات، وعودتها الى مصدرها، الى الله، عودة قطرة الماء الى بحرها، وبناتها من الولادات والشقاء.

و - **باليوغا الملكية**^(١)، سبيل الهنودسيّ الفضلى الى الخلاص من التناسخ والشقاء.

ولليوغا مقامات ثمانية يتدرج فيها الساعي الى خلاصه، وهي:

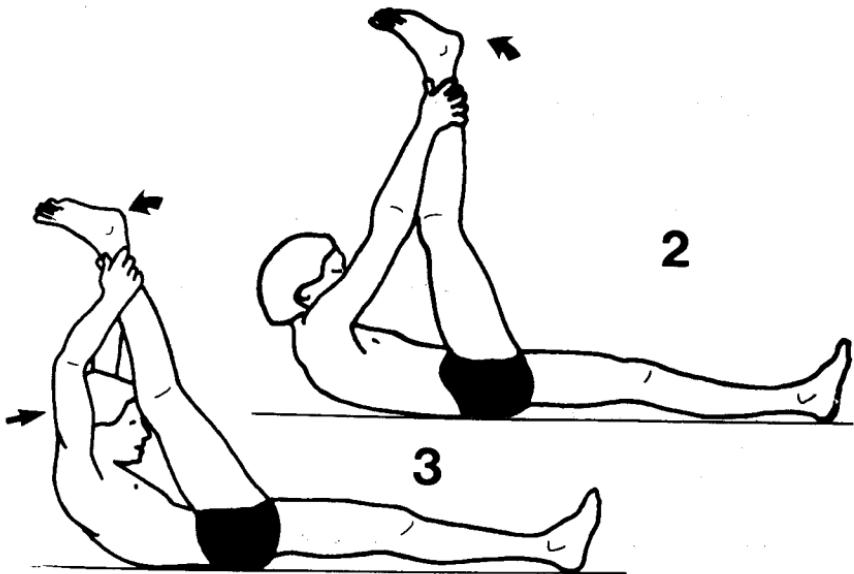
١- **المناهي**: تنهى عن العنف^(٢)، والكذب، والسرقة، والبخل، وبجامعة النساء.

٢- **الأوامر**: تأمر بالنظافة، والسكنون، والدرس، والتقوى، واستواء الأضداد (الفقر كالغني، والضعة كالمجد، والألم كاللذة...)

٣- **الجلوس والتنفس**، أفضل أنواع الجلوس، وضبط التنفس، لكي يسهل على اليوغي التدرج في المقامات التالية.

(١) اليوغا أنواع، واليوغا الملكية حامدة.

(٢) اللاغيف إحجام عن الإيذاء، وحب كلّ حيّ، وبه تقيد غاندي في نضاله من أجل استقلال الهند، واستقلّت!



3

قرین یوگی

٥- انكفاء الحواس الخمس عما يشغلها، ويشغل صاحبها، بالعلم الخارجيّ، لينصرف اليوغى بتفكيره الى عالمه الداخليّ.

٦- التركيز على فكرة واحدة مما يعرض لليوغى من أفكار، وحصر الانتباه بها.

٧- التأمل في الفكرة، التي حصل التركيز عليها، استجلاء ما له بها من صلات.

٨- الاستغراق (Samâdhi): يتبيّن اليوغى الله في ما يفكّر فيه، ويتبّين نفسه ذاتها في الله، فيبلغ كماله، ويجد سعادته: ينجو من التناصح فلا يعود الى جسد جديد، بل الى الله، يلقاه لقاء الجدول البحر.

لا سعادة لليوغى الا في الله، يستغرق فيه، في الدنيا، ويعود اليه، ويفنى فيه، بعد الموت.

يرد الكلام على اليوغا في ثلاثة مصادر:

١- الأنماط اليوغية مؤلفها بتنجلي، الذي عاش في القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد.

٢- الأوبيشادات، وهي نصوص شعرية أو ثرية، مجھولة المؤلفين. الأوبيشادات الأساسية أربع عشرة، وتحاوز عددها مع الأيام المائتين.

٣- نشيد المولى (Bhagavad Gita): جزء يسير من بهاراتا الكبير، سبعمائة بيت من تسعين ألف بيت، أروج كتاب هندوسيّ من أكبر ملحمة.

وإليك نصوصا من الأوبيشادات ونشيد المولى:

١ - برهمن والنفوس الفردية

النفوس الفردية سجينه ما ينتابها، في هذا العالم، من هناء وشقاء.

خلاصُها من وطأة الوهم في معرفتها ببرهن.
 بهذه المعرفة ينحو الفرد من المرض، والهرم، والموت،
 ويسلم من خطر ولادة حديدة.

٦ تحصيل هذه المعرفة أمر عسير،
 ولكنها الباخرة التي تمكّن من عبور نهر التناسخات.
 يمكن الوصول إليها بألف طريق وطريق،
 ولكنها في الحقيقة واحدة، الملاجأ الأخير الذي ليس بعده
 ملجاً.

يسعى بعضهم إليها عن طريق الممارسات الطقسية، على
 ما تعلّم كتب الفيده، فيقعون لغباؤتهم في فخاخ
 الطقوس ...

٧ لا، لا يسع الكتب أن ترفع النقاب عن برهمن،
 عمن به تظاهر كل الأشياء، من شمس العلاء إلى أحرق جرّة:
 ذاك^(١) طاهر بذاته، وطبيعته الحقيقة تحوز كلَّ كلام،

(١) ذاك: إشارة إلى برهمن ومرادف له.

كلًّ أشكال الكلام، البشري والإلهي.

٨ ذاك لا يُقاس، وذاك لا يتحرّك، وذاك يستعصي على
الدنس،

وذاك يستعصي على الألم، وذاك يفوق كلًّ واقع.

٩ ولكنَّ ذاك يتّسم بسمات الاثم والثواب،
إذا ما اتّخذ شكل النفس الفردية.

٢ - اليوغا علم ونهج

١٤ سأقول لك كيف تتحرّر النفس من قيودها.
كيف يسع العلم أن يضمن تحرير النفس، إذا لم يقرّن
بممارسة اليوغا؟
وكيف تضمن الممارسة وحدها هذا التحرير، إذا لم
تستند إلى العلم؟

١٥ على الطالب الليبي، إذا ما رغب في التحرّر، أن يسعى
إلى تحصيل العلم، وممارسة اليوغا ممارسة صحيحة، فالجلهل
سبب كلًّ شقاء،
والعلم وحده يحرّر.

ونحصل على العلم أولاً بالتدرب على الاستدلال المنطقيّ،
فبالاستدلال نرى ما يصلح حقاً علمه،
وبه نعرف أنَّ موضوع العلم هو برهمن، العليُّ الأحد.

١٧ ونرى برهمن، دون ريب، ربّا غير منقسم، بريئا من

العيّب،

موجوداً، واعياً، سعيداً،

يجوز المخطّاتِ الكونية الثلاث،

الخلق، والحفظ على المخلوق، والزوال،

ويجوز كلّ تجلٌّ وكلّ علم!

اعرفُ هذا تستحقّ وحدك اسم العارف.

(أوبينشاده اليوغـا الحقـّ)

٣ - برهمن والنفس

٥ (ذاك) ماثلٌ في كلّ الأشياء

مثلول العطر في الزهر،

والسمن في الحليب،

والزيت في السمسم، والذهب في التبر.

٦ والنّفـس ماثـلة في الكـائـنـات - في كـلـها، مـهـما كـثـرـت -

مثلـلـ السـمـطـ في الـلـآلـىـ.

هو بـرهـمنـ أـسـاسـ الفـكـرـ الـخـالـصـ، وـالـتـفـكـيرـ الـواـضـعـ،

إـذـاـ هـمـاـ عـرـفـاهـ.

٧ أـجـلـ، النـفـسـ مـاثـلةـ في جـسـمـ الـانـسـانـ

- في جـسـمـ تـحـتـويـهـ، وـتـقـطـنـ فـيهـ -

مثل الزيت في الحبوب،
والعطر في الزهر.
كثيرة غصون الشجر، والظلّ واحد.
٨ (أو بنيشادة التأمل التام)

٤ - الفناء في برهمن

١٩ من تساوى في نظره كُلُّ شيء استولى على الكون، وهو
بعدُ هنا.

برهمن باقٍ هوَ هو، بريءٌ من العيب، موجودٌ في كُلِّ
مكان، ولذا يستقرُّ (الحكيم) فيه.

٢٠ من لا يفرح بمحبوب، أو يحزن لمكرروه، ويظلّ مستقرًّا
العقل، سالما من الوهم، يعرف برهمن، ويستقرُّ في برهمن.

٢١ اذا ما تحرّرت ذاتُ الإنسان من الصلاتُ الخارجية، وجد
سعادته قائمة في الذات، اتحدت ذاته ببرهمن، ونعمَ
بالسعادة الأبدية.

٢٢ لا يصدر سوى الألم عن كُلِّ ما تولّده الملامسات من
لذات.

للذات بدايةٌ ونهاية، والانسان المستثير لا يجد فيها أيَّ متعة.
٢٣ من يسعه، وهو بعدُ هنا لما يتحرّر من الجسد، أن يقاوم

- هيجان الشهوة والغضب، فهو المُتحد (بالله)، والانسان السعيد.
- ٢٤ من وجد الغبطة الداخلية، والفرح الداخلي، والنور الداخلي، فهو ذلك اليوغي، الذي صار برهمن، وفي فيه.
- ٢٥ يصل العارفون الى الفناء في برهمن، اذا ما امّحت خطاياهم، وتبدّلت الثنائيات، وملكوا أنفسهم، وسُرُّوا بما يأتونه لخير المخلوقات.
- ٢٦ يجد المدرب، أنّى كان، الفنان في برهمن، اذا ما تحرّر من الشهوة والغضب، وضبط أفكاره، وحقق ذاته.

(نشيد المولى: الفصل الخامس)

٥- اليوغا سبيل الاتّحاد بالله

- ١٩ اذا ما ضبط اليوغي فكره، وزاول الاتّحاد بالذات، هدا هدوء مصباح في موضع لا ريح فيه.
- ٢٠ من انقطع عن التفكير، قطعته مزواله اليوغا، ومن رأى الذات بالذات، فألفى سلامه فيها،
- ٢١ ومن أدرك هذه الغبطة اللامتناهية، التي تحصل عن طريق العقل، لا عن طريق الحواس، وفيها أقام ثابتنا حقاً،
- ٢٢ ومن حقّق هذا الكسب، الذي لا يفوقه أيُّ كسب،

- ٢٣ واستقرّ فيه، فهذا لن يقلقه الحزن، مهما فدح.
 علينا أن ندعوا يوغـا هذه النجاة من ربة الألم،
 وعلىـنا أن نزاولـ اليوغـا دون تردد أو يأس.
- ٢٤ اهـرـ، ولا تستشنـ، كلـ الشـهـواتـ، الصـادـرـةـ عنـ نـزـعـتـناـ
 إلىـ الشـهـوـةـ، وـاضـبـطـ بالـفـكـرـ وـحدـهـ قـطـيـعـ الـحوـاسـ، أـنـىـ اـتـجـهـ.
- ٢٥ وتـرـاجـعـ روـيدـاـ روـيدـاـ مـسـتـعـيـنـاـ بـالـعـقـلـ الصـبـورـ، مـحـدـقـاـ
 بـفـكـرـكـ إـلـىـ الذـاتـ، غـيرـ مـفـكـرـ فيـ أـيـ شـيءـ.
- ٢٦ عدـ بالـفـكـرـ المـضـطـرـبـ الـحـائـرـ، عـدـ بـهـ كـلـمـاـ شـرـدـ إـلـىـ قـبـضـةـ
 الذـاتـ.
- ٢٧ الـسـعـادـةـ القـصـوـىـ تـغـمـرـ اليـوـغـيـ، إـذـاـ ماـ بـلـغـ فـكـرـهـ السـلـامـ
 التـامـ، وـسـكـنـ هـوـاهـ، وـتـنـزـهـ عنـ النـقـصـ، وـصـارـ بـرـهـمـنـ.
- ٢٨ يـثـابـ اليـوـغـيـ عـلـىـ التـأـمـلـ مـتـنـزـهـاـ عـنـ النـقـصـ، فـيـحـقـقـ بـيـسـرـ
 وـصـالـ بـرـهـمـنـ، السـعـادـةـ القـصـوـىـ.
- ٢٩ منـ اـسـتـقـرـتـ ذـاـتـهـ فـيـ اليـوـغـاـ، وـتـوـحـدـتـ نـظـرـتـهـ أـنـىـ كـانـ،
 رـأـيـ الذـاتـ فـيـ كـلـ الـكـائـنـاتـ، وـكـلـ الـكـائـنـاتـ فـيـ الذـاتـ.
- ٣٠ مـنـ يـرـنـيـ فـيـ كـلـ مـكـانـ، وـيـرـ كـلـ شـيءـ فـيـ، لـأـغـيـبـ عـنـهـ
 أـبـداـ، وـلـاـ هوـ عـنـيـ يـغـيـبـ.
- ٣١ إـذـاـ مـاـ اـسـتـقـرـ اليـوـغـيـ فـيـ التـوـحـيدـ، وـعـبـدـنـيـ فـيـ كـلـ
 الـكـائـنـاتـ، حـيـيـ فـيـ كـيـفـمـاـ كـانـتـ حـيـاتـهـ.

٣٢ من تساوى في نظره الألمُ واللذة تساويهما في الذات
فأنا أعدُه أكملَ يوغى.

(نشيد المولى: الفصل السادس)

٦ - حبيبي

١٣ حبيبي من لا يعادي أحداً، ويصادر، ويشفق،
ويتنزه عن مقوله (لي، وأنا)،
ويستوي واحداً في اللذة والألم،
ويغفر، ويرفق.

١٤ وعزيزٌ على حبيبي اليوغى، الراضي أبداً، الضابط لنفسه،
ذو العزم الثابت، ومن يقف على فكره، وعقله.

١٥ وعزيزٌ على من لا يُقلِّقُ العالم، ولا العالم يقلقه،
ومن خلص من الفرح والغضب، ومن الخوف والقلق.

١٦ وعزيزٌ على حبيبي الذي لا يتوقع شيئاً، وهو ظاهر
 Maher، غير مبالٍ أو مهموم، محجِّم عن كلٍّ مشاريع
الأعمال.

١٧ وعزيزٌ على المائم بمحبّي، الذي لا يهمل أو ينوح، لا ينفر
أو يميل،
والذي لا يبالي أي مبالغة بالسراء والضراء.

١٨ وعزيزٌ على من ساوي العدو بالصديق، والعزّ بالذلّ،
والقرّ بالحرّ، واللذّة بالألم، وتحرّر من الصّلات.

١٩ وعزيزٌ على من هام بجّبي، وساوى الذمّ بالمدح، ولزم
الصمت، ورضي عن كلّ ما يحدث، وما استقرّ في منزل،
بل فكره استقرّ.

٢٠ إنما أعزّ أعزائي حبيبي، الذي يؤمّن بي هدفاً أعلى،
ويحفظ هذا النّاموس الخالد، على ما جاء في وصفي له.

(نشيد المولى: الفصل الثاني عشر)

٧ - الربّاني والشّيطاني

١ الجرأة والنقاء، والثبات في المعرفة، واليوجا، والجود،
والانضباط، والقربان، ومعرفة الذات، والتّقشف،
والاستقامة،

٢ واللاعنف، والصدق، والإحجام عن الغضب، والرهد،
والطمأنينة، والإغضاء عن العيوب، والرأفة بالكائنات،
وغياب الشّهوة، والوداعة، والحياء، والاتّزان،

٣ والعزمُ، والغفران، والصبر، والطهر، والسلامة من البغض
والغرور: تلك هي سماتُ من ولد مُعدّاً لما هو ربّاني ...

٧ لا يعرّف الشّيطاني ما العمل وما اللاعمل، وغريبٌ عنه
الطهر، والصدق، والسلوك القويم.

- ٨ لا ربّ لهذا الكون، في نظره، ولا حقيقة، ولا أساس...
 ٩ ...يُقدم على أعمالٍ شرسة، عدوانية، مدمرًا ما في الكون...
 ١٢ هو أسيرٌ آمالٍ وآمال، منقادٌ للغضب واللذة، ساع بوسائل غير مشروعة الى تكديس الثروة لإشباع الشهوة، والتمتع باللذة.
 ١٣-١٥ ضللـ الله الجهل فأخذ يقول:
 ربحتُ اليوم هذا، وسأربح ما اشتتهـي؛ هذه ثروتي،
 وستزيد.
 قتلتُ هذا العدوّ، وسأقتل أعداءً آخرين. أنا سيد ممتنـع.
 أنا كامل، وقوىـ، وسعيد.
 غنيـ أنا، وشريف الحسب، فمن مثلـي؟...
 ٢٠ يهويـ هذا الضالـ الى رحمـ شيطانية، ولادةً تلو ولادة: لا يصلـ اليـ، فيصير الى أحـطـ حال.
- (نشيد المولى: الفصل السادس عشر)

٨- كيف تصير بـرهـمن

٥ . أمـا كيف يصلـ الانـسان الى بـرهـمن نفسهـ، الى أعلى

ذرى المعرفة، اذا ما وصل إلى ذلك الكمال، فاسمعه
مني، في كلام وجيز:

٥٣-٥١ يسع الانسان أن يصير برهمن،

اذا ما ظهر عقله فاتّحد وانضبط بقوّة الارادة، وزهد
في المحسوسات، وسلم من الميل والنفور، وعاش في عزلة،
واقتصر في الطعام، وضبط اللسان والجسد والفكير،
وواضب على التأمل اليوعيّ، وما خفق له فؤاد، وتحررّ
من الأثرة، والشراسة، والكرياء، والشهوة، والغضب،
والأملاك، والشعور بالملك، واطمأنّ.

٥٤ واذا ما صار برهمن، واطمأنّ منه الذات، فسلم من
الحزن والشهوة وتساوت لديه كُلُّ الكائنات، حظي
بأسى حبٌّ لي.

٥٥ وبهذا الحب يعرفي حقّاً، يعرف من أنا، وكيف أنا.
واذا ما عرفني حقّاً وليح حالاً في ذاك^(١).

(نشيد المولى: الفصل الثامن عشر)

(١) أوجزنا كُلَّ الإيجاز ما عرضنا من كتب الهندوسية وعقائدها، ومن مقامات اليوعي،
أوجزنا وأهملنا، فعد إلى كتابنا (المند ان شدت وهدت)، اذا ما أردت الزبيادات
والتفاصيل والشرح.

سعادة الهندوسيّ

رأينا موقف الهندوسيّ من السعادة، ولنا على هذا الموقف ما أخذ نكتفي منها باثنين:

١ - يغالي الهندوسيّ في وصف ما يشقي، ويغفل عمّا يسعد، يغالي في وصف الألم، والمرض والهرم...، ويغفل عن اللذة، والصحة، والشباب. انه يرى أشواك الورود دون زهورها، وعلى حساب الزهور.

٢ - يحصر الهندوسيّ سعادة الانسان بلقاء الله، يلقاءه في الحياة، عن طريق الاستغراق فيه، ويعود اليه بعد الموت ليقني فيه. لقاء الله سعادة، أسعد السعادات، ولكن استغراق اليونجي، إن صحّ، نصيب خبطة قلة، والفناء، بعد الموت، فناء النفس في الله، غيابُ وجودِ شخصيّ مستقلّ، وتصبح حياتنا على الأرض حياة تعasse وعذاب دون أن نعلم سبب التعasse، أو يكون للعذاب مغزى وآب!

النشاؤم طابع الهندوسيّة.

سعادة بوذا (٤٨٠ - ٥٦٠)
النرفانة!



بُودا معلّم

مـ ١٢٥٤ هـ (- ٣٠ - ١٤٣)

٦٢

أوحت الآلهة الى البراهمة، لدى مولد غوتاما بوذا^(١) ، وفي حضرة والده الملك، فأنسدوا:

"سبل البشر ما عادت وعرة، والخلوقات صارت سعيدة، فحامل السعادة قد ولد، وسيُنير العالم.

العميان يُصيرون، والصم يسمعون، والجحانيين يعقلون، فقد ولد فاتح العيون، وفاتح الآذان، وفاتح العقول، وسيمنحك العالم البصر، والسمع، والعقل.

النسيم العابق بالطيب يسكن أوجاع الكائنات، فقد ولد الآسي، وسيشفى العالم."

النזהات الأربع

نشأ غوتاما في قصر أبيه، وكبر، وتزوج، وكان له ابن.

وفي التاسعة والعشرين من عمره خرج الى زيارة حدائقه، غير بعيدة من القصر، خرج من الباب الشرقي، فأبصر في طريقه رجلا هرما، ثقيل الخطى، ناحل الجسم، مجعد الوجه، ناتئ العروق، فاغر الفم، أصلع الرأس... فاستغرب المنظر، واستقبح، وسأل السائق:

- من هذا الانسان؟

- انه انسان هرم، وكل انسان، اذا ما تقدم في العمر، أصبح هدفا للضعف والنحول، غنيا كان او فقيرا، عظيما او حقيرا.

(١) غوتاما اسمه، وبودا وصفه، بعد أن أشرق عليه نور الخلاص.

ولاح للأمير ما سوف يحلّ به، اذا ما طال عمره وهرم، فهان
الشباب في نظره، وقفل الى قصره.

وعاودته الرغبة، بعد فترة، في زيارة حديقة أخرى، فأنف
الخروج من الباب الشرقي لثلاً يلقى ذلك الهرم، فخرج من الباب
الجنوبي.

ولكنَّ المنظر لم يكن أبهى، فقد أبصر رجلاً منظرًا على
قارعة الطريق يحاول الوقوف فيقع، ويُسْبِل لعابه من فمه، وهو
صاحب اللون، شاحب النظر، يئنَّ وما من معين.

وسائل الأمير السائق:

- من هذا الرجل؟

- هذا مريض ساءت صحته، ولا يسلم حيًّا من المرض.
واضطرب الأمير، تخيل نفسه مريضاً يعاني ما يعاني ذلك
الرجل، فهانت في نظره الصحة، وقفل الى قصره.

وعاود الأمير الكرة لثالث مرّة، خرج الى نزهة من الباب
الغربيّ. ولكنَّه لم يلبث أن رأى موكبًا بأتواه الحداد، ورأى أربعة
رجال يحملون جثة، وأربعة أشخاص يتبعونها، ورأى آخرين
ييكون.

وسائل الأمير السائق:

- ما هذا؟

- هذا ميت فقد عقله، وشعوره، وحواسه، وصار كالعشب
أو كالجماد، ما عاد يرى أهله، وإنحواته، وأنحواته وزوجته وأولاده،
وهذا مآل كلَّ انسان، ذلٌّ أو نبل، بل مآل كلَّ حيٍّ.

حزن الأمير حزناً عميقاً، إذ سمع هذا الكلام، وعرف أنه سيموت، فهانت في نظره الحياة، وكلُّ ما في الحياة من مباح ولذات، وقفل إلى قصره.

انما على الرغم من كلِّ ما خبره غوتاما في نزهاته الثلاث فقد عاود الكرة لرابع مرّة، خرج إلى إحدى الحدائق من الباب الشمالي، فرأى راهباً قدماً إليه^(١)، وقد حلق رأسه، ولبس القميص الأصفر، وحمل عصا ناسك، وبدت إمارات الرحمة في عينيه.

وسؤاله للأمير:

- من أنت؟

- فكّرتُ في أسباب الألم، في الولادة، والهرم، والمرض، والموت، وأدركت أنَّ الزوال طابع هذا العالم، فرغبت عن العالم، عن أهوائه ولذاته، هجرته ولدت بالوحدة، أعيش في غابة أو على جبل، لا أملك شيئاً ولا أسعى إلى ملك، صدقاتُ الناس غذائي، والخير مرادي.

سمع الأمير هذا الكلام فرأى في سلوك هذا الناسك طريقاً إلى الخلاص من الألم.

وقرر الأمير غوتاما الاقتداء بذلك الزاهد، ولم تفع ممانعة والده، ولا حالت القصور وأسباب النعيم، وخلافة الوالد على العرش، فنهض في إحدى الليالي، ألقى نظرة أخيرة على زوجه وابنه، وامتنى جواده، وغادر القصر.

(١) هو راهب هندوسي.

وبلغ إحدى الغابات، فترجّل، حلق شعر رأسه، واستبدل
لباسا غليظا بلباسه النفيس، وتخلى لمرافقه عن حلاه، وسار راهبا
فقيرا يعيش من صدقات الناس.

بوذا

قضى غوتاما ست سنين زاهدا متأملا، باحثا عن طريق
الخلاص من الألم.

وفي الخامسة والثلاثين من عمره، بينما هو جالس تحت تينة،
أشرق عليه النور، رأى طريق الخلاص، فإذا هو بوذا، المستنير أو
المستيقظ.

وهذه هي الطريق:

- ١ - نضع سعادتنا في ما هو زائل.
- ٢ - ويزول فتّالّم، ونشقي.
- ٣ - والخلاص اذا زهد في كل زائل، مساواة الأضداد:
مساواة المرض بالصحة، والهرم بالشباب، الموت بالحياة، ووصل
الحبيب بهجره، وقرب البغيض ببعده، والعجز عن التمتع باللذة
بالقدرة عليه.
- ٤ - واذا ما قدرنا على ذلك، والانسان قادر، وصلنا الى حالة
من الاطمئنان التام والدائم، وصلنا الى النرافة، الى السعادة.
- ٥ - وتستمر سعادتنا بعد الموت، تستمر حالة النرافة، ونجو
من التناصح، من العودة الى عالم الألم والشقاء.

خطبة بنaras

وقد عَبَرَ عن نظرته تلك في خطبته الشهيرة، خطبة بنaras، حيث حدَّث رهباناً، قال:

"إِلَيْكُمْ، أَيُّهَا الرَّهَبَانُ، الْحَقِيقَةُ الْعَظِيمَىُ فِي الْأَلَمِ:

الولادةُ ألمٌ، والهرمُ ألمٌ، والمرضُ ألمٌ، والموتُ ألمٌ.

قربُ من نبغضُ ألمٍ، وبعْدُ من نحبُّ ألمٍ، والعجزُ عن نيل ما نشتهيُ ألمٍ.

"إِلَيْكُمْ، أَيُّهَا الرَّهَبَانُ، الْحَقِيقَةُ الْعَظِيمَىُ فِي سَبَبِ الْأَلَمِ:

أَنَّ الشَّهْوَةَ، الْمُؤْدِيَةُ إِلَى وِلَادَةِ جَدِيدَةٍ، الْمُتَّصِلَّةُ بِنَهْمِ الْهُوَىِ،
الْبَاحِثَةُ عَنْ مُتَعْتَهَا، تَارِةً هُنَا، وَتَارَةً هُنَاكَ.

أَنَّ شَهْوَةَ الْلَّذَّاتِ الْحَسِيَّةِ، شَهْوَةَ الْوِجْدَوْ وَالصَّبِرَوْرَةِ.

"إِلَيْكُمْ، أَيُّهَا الرَّهَبَانُ، الْحَقِيقَةُ الْعَظِيمَىُ فِي مَلَاشَةِ الْأَلَمِ:

نَلَاشِيهِ بِمَلَاشَةِ تَلْكَ الشَّهْوَةِ، بِاسْتِئْصَالِهَا، بِالْعَزْوَفِ عَنْهَا،
بِالْزَّهْدِ فِيهَا، بِالتَّحرِّرِ مِنْهَا، بِالْإِقْلَاعِ عَنْهَا."

المناهي العشرة

قضى بوذا ما بقي من عمره يدعى الناس إلى طريقته، ويستجيب التلاميذ.

وقرّر تأسيس رهبنة، وسمح للنساء بالترهّب.

يعنى الراهب بكماله الخاص، وكمال الآخرين، ويقيّد
الرهبان بمنا^ء عشرة هي:

- ١ - لا تقتل^{*}
- ٢ - لا تسرق^{*}
- ٣ - لا تزن^{*}
- ٤ - لا تكذب^{*}
- ٥ - لا تشرب مسکرا
- ٦ - لا تأكل بعد الظهر (مكتفيا بوجبة واحدة قبل الظهر).
- ٧ - لا ترقص، أو تسمع الموسيقى، أو تردد المسارح.
- ٨ - ارغب عن الزهور، والعطور، والأدهان.
- ٩ - ارغب عن الفراش الوثير.
- ١٠ - لا تملك ذهبا أو فضة.

وأهم هذه المناهي العفة والفقر.

سعادة بوذا

باین بوذا الهندوسی[َ]، اذ حدّد السعادة، في أمرین خطیرین:

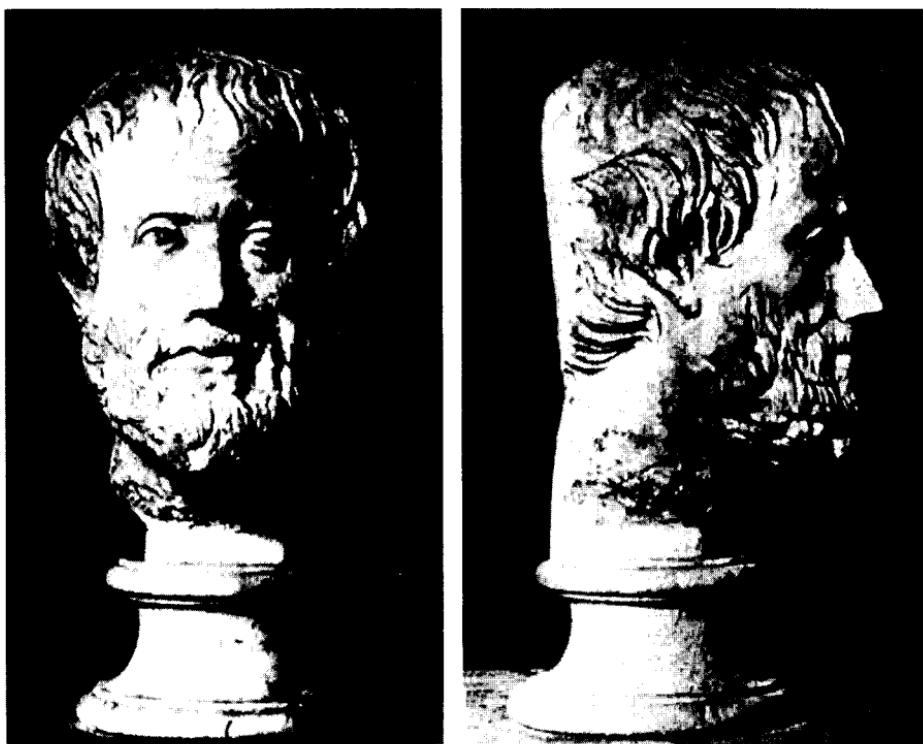
- ١ - أهمل الكلام على الله، وعلى صلة السعادة به، فربط سعادة الانسان ب أصحابها.
- ٢ - آمن ببقاء النفس، بعد الموت، بقاء ذاتيّا شخصيا مستقلّا.

انما يبقى سؤال: ما سعادة النرثانية؟ انّها سعادة سلبية، قائمة على غياب كل شهوة، وكل ألم، قائمة على فراغ، فهل هي بعد

سعادة، كلُّ ما نصبو اليه، ويسعنا الوصول؟ لا، لا يكفي غياب الرغبات لنسعد!

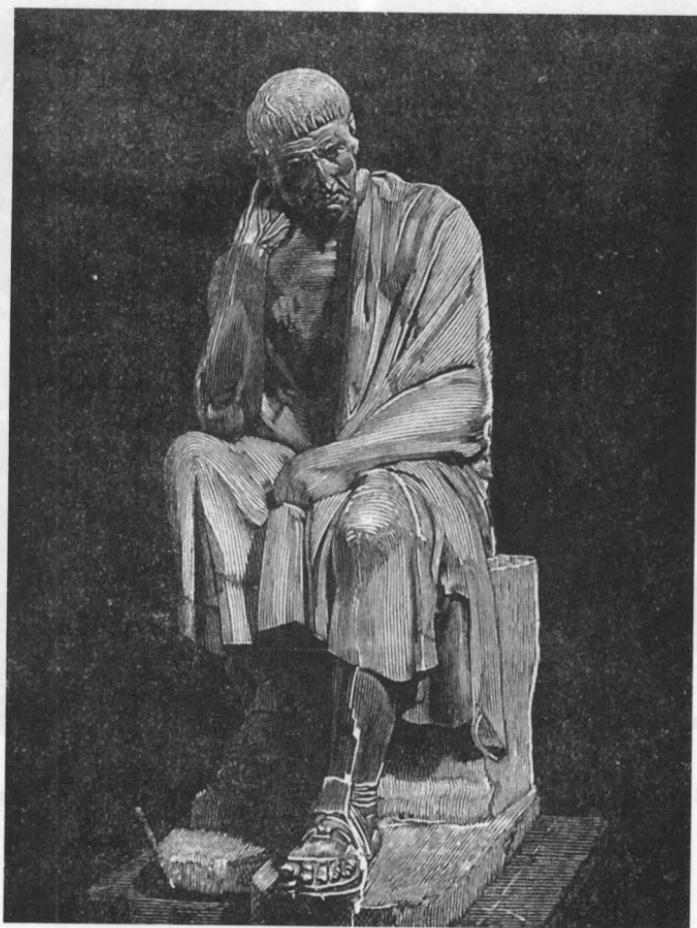
وتبقى طريقة الوصول الى النرانة، مساواة الأضداد، مساواة الألم باللذة، والمرض بالصحة، والهرم بالشباب، والموت بالحياة...، فهل هذه المساواة من الممكنات السائغات، أم هي حلم، بل وهم؟ على أنَّ السعي الدؤوب الى مساواة الأضداد قد يخفف من وطأة الشقاء، من حدة الشعور بزوال ما هو زائل: زوال الصحة، والشباب، والحب، والحياة الدنيا...

٣ - وتحقيق النرانة يحول، في نظر بوذا، دون التناصح، دون العودة الى حياة جديدة، وشقاء جديد، وهذا لا يقنع من لا يؤمن بالتناصح.



ARISTOTELE - Vienna, Museo di storia dell'arte (da Delbrueck, Antike Porträts)

سعادة أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢)
تأمل حكيم



(Palais spado, à Rome)

أرسطو

الكتاب (317 - 777)

كتاب

لأرسطو كتاب اسمه (الأخلاق الى نيقوماخوس)، ونيقوماخوس ابنه، أعزّ شخص يهديه الى السعادة، وصفوة ما قال له:

أ- السعادة غاية الحياة، غاية الغايات، لا وسيلة الى غاية أسمى.

ب- والسعادة فعل، لا قدرة، أكمل أفعال الانسان.

وأكمل فعل انساني فعل العقل، ميزة الانسان كإنسان.

وأكمل أفعال العقل التأمل الفلسفية، تأمل الحكيم.

ولا تكون السعادة كاملة الا اذا كمل العلم بالعمل، اكتملت الفلسفة بالفضيلة، او الحكمة النظرية بالحكمة العملية.

ج- والفضيلة وسط بين طرفين رذيلتين: الشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والجود وسط بين البخل والتبذير، وهكذا. طابع الفضيلة الاعتدال، ميزة الحكماء.

د- وللسعادة لذتها: ليست السعادة في التمتع بشتى اللذات، ولكن للفعل انساني الكامل لذاته، لا لذة خارجية يزدان بها كحلية، بل لذة ذاتية يكتمل بها اكمال الشباب بالنضارة والجمال.

هـ- وللسعادة توابعها: لا تستوي السعادة وتكتمل اذا لم يتحقق لطالها خيرات خارجية كالنسب الشريف، والصحة، والجمال، والغنى، والأصدقاء، والنفوذ، والحظ... هذه الخيرات ليست السعادة، بل توابع ملازمنة ضرورية.

و- وعلى السعادة أن تكون دائمة، ثابتة مدى الحياة،
فسنون واحد لا يبشر بالربع، ولا يوم صحو واحد.
وان تخل بالسعيد كوارث فهو قادر على الصبر عليها، يصبر
بجود وكبير^(١).

ز- والسعادة نسبية: السعادة الكاملة شأن النخبة، لا شأن
كل الناس، وتصبح لكل انسان سعادته، سعادة متباعدة، متفاوتة.
والسعادة الكاملة نفسها محدودة حدوداً للانسان.

ونقل لك أهم ما جاء في السعادة من كتاب (الأخلاق الى
نيقوما خوس)، فختار نصوصا، ونضع لها عنوانين:

السعادة أسمى خير

كل فن، وكل بحث عقلي، وكل عمل، وكل خيار حر،
نروغ الى خير ما. وهذا يصح القول ان الخير غاية كل أفعالنا...
فإن كان لأفعالنا غاية نريدها لذاتها، ونريد كل ما سواها
وسيلة إليها... فهذه الغاية هي الخير، أسمى خير...

وإذا صح هذا فعلينا أن نحاول تحديد هذه الغاية...: ما دام
هدف كل معرفة، وكل جهد، خيرا ما، فما هذا الخير، الخير
الأسمى؟

(١) الكبير: الاكتفاء بالذات، بالصفات الذاتية، والاستغناء عمّا هو خارجي (من مال
ومجد).

أسمى حير

انْ ثُمَّة إِجْمَاعاً عَلَى أَنَّ السُّعَادَةَ، دُونَ اِتَّفَاقٍ عَلَى طَبِيعَةِ هَذِهِ السُّعَادَةِ...، فَهَذَا يَرَاهَا فِي الرَّئَى وَالملْمُوسِ كَاللَّذَّةِ، وَالغَنَىِ، وَالعزَّ...، وَذَاكَ يَرَى، إِزَاءَ تِلْكَ الْخَيْرَاتِ كُلُّهَا، خَيْرًا آخَرَ، خَيْرًا فِي ذَاتِهِ، غَایَةً كُلَّ مَا فِي تِلْكَ الْخَيْرَاتِ مِنْ خَيْرٍ... فَمَا هَذَا الْخَيْرُ؟ أَنَّهُ يَخْتَلِفُ مِنْ فَعْلٍ إِلَى فَعْلٍ، وَمِنْ صَنْاعَةٍ إِلَى صَنْاعَةٍ^(١)...، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ الْأَسْمَى خَيْرٌ كَامِلٌ. وَإِنْ تَعَدَّ الْخَيْرُونَ الْكَامِلَةُ، فَأَكْمَلُهَا هُوَ الْمَطْلُوبُ... .

الْخَيْرُ الْكَامِلُ هُوَ مَا نَخْتَارُهُ دَائِمًاً مِنْ أَجْلِهِ هُوَ، لَا مِنْ أَجْلِ حَيْرٍ آخَرَ، وَهَذَا هُوَ السُّعَادَةُ. أَنَا نَخْتَارُ السُّعَادَةَ دَائِمًاً مِنْ أَجْلِهِ هِيَ، لَا مِنْ أَجْلِ سَوَاهَا. أَنَا نَخْتَارُ العَزَّ، وَاللَّذَّةِ، وَالْعُقْلِ، وَأَيِّ كَمَالٍ آخَرَ مِنْ أَجْلِهِمْ هُمْ...، وَمِنْ أَجْلِ السُّعَادَةِ أَيْضًا، وَلَا نَخْتَارُ السُّعَادَةَ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ، أَوْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ... فَالسُّعَادَةُ إِذَا أَكْمَلَ شَيْءٌ، وَهِيَ مَكْتَفِيَةٌ بِذَاتِهَا، غَایَةً كُلَّ أَفْعَالِنَا.

توضيح السعادة

قد تتفق على أن السعادة هي الخير الأسمى، إنما نتوق إلى أن نعرف، بنوع أوضح، ما هي. ويسعنا بلوغ ذلك الغرض، إذا ما نظرنا إلى وظيفته كأنسان.

(١) هو بالنسبة إلى الطب الصحة، وإلى الحرب النصر، وإلى العمارة البيت...

خيرٌ عازف الناي، وتفوّقه، في كمال عمله، وكذا النحات،
وأيّ فنان، بل كلّ ذي وظيفة، أو نشاط.

وكذا ييدو الأمر بالنسبة الى الانسان، إن تكون له وظيفة
خاصة به... .

ليست وظيفته في الغذاء والنمو...، أو في الإحساس المشترك
بينه وبين الحصان، والثور، وكلّ الحيوانات.
ويبقى لنا اذاً نوع من الحياة العقلية.

ومن هذه الحياة ما هو خاضع للعقل، ومنها ما هو عقل قائم
بعمله... .

واذا كانت وظيفة الانسان قيام النفس بعمل موافق للعقل، أو
غير منافي له،

واذا كانت هذه الوظيفة واحدة بتنوعها، لا فرق بين عمل
عاديّ وعمل حسن...،

فخير الانسان قيام النفس بعمل مناسب لكتماها.
وإن تعددت أنواع الكمال فخيرٌ أحسنها وأكملها.

ويidوم ذلك مدى الحياة: سنون واحد لا يبشر بالربيع، ولا
يوم صحو واحد، وكذلك لا يكفي يوم واحد، أو زمن قصير،
للرغبة والسعادة.

لذة السعادة

وحياة مثل هؤلاء البشر لذة في ذاتها: الشعور باللذة إحدى
حالات النفس، وكلّ انسان يجد لذته في ما يحبّ...، يجدها

العادل، مثلاً، في الأفعال العادلة، ومن يحب الكمال في الأفعال الكاملة... .

وهكذا لا تحتاج حياة من يقومون بأعمال كاملة إلى لذة تأتي، وتلتتصق بأعمالهم التصاق حلية للزينة، بل لذتهم ذاتية... فكل ما نقوم به من أعمال كاملة مصدر لذة... فالسعادة اذاً أحسن شيء، وأجمل شيء، وألذ شيء.

ضرورة الخيرات الخارجية

على أن الخيرات الخارجية ضرورية، فمن الحال، أو العسير، الإجادة في العمل، اذا ما فاتتنا الوسائل، فكم من الأعمال نقوم بها، اذا ما أسعفنا عليها الأصدقاء، والغنى، والنفوذ السياسي...، أو النسب الشريف، والنسل الحسن، والجمال.

لا تكتمل سعادتنا، اذا ما طغا قبحنا، أو هان مولانا، أو كنا وحيدين في العالم لا أولاد لنا. وقد يكون الأمر أعسر، اذا كان لنا أولاد واصدقاء سيئون، أو كانوا صالحين، ووافقتهم المنية... .

السعادة في ما تقوم به النفس من عمل كامل. أما الخيرات الأخرى فبعضها ملازم للسعادة، وبعضها مساعد، آلات طبيعية نافعة لتحقيقها.

السعادة مدى الحياة

جوهر السعادة الأعمال، التي يقوم بها الانسان، على ما يقتضي الكمال... .

والانسان السعيد سعيد مدى الحياة. انه يعمل دائماً، او تقريراً دائماً، يعمل ويفكر على ما يقتضيه الكمال، ويتحمل احتمال الشرفاء كوارث الدهر... يتألق الجمال الخلقيّ، إن هو احتملها بهدوء، لا لأنّه خلوٌ من الإحساس، بل لأنّه جواد، كبير النفس.

السعادة كمال عقليٌّ خلقيٌّ

السعادة في قيام النفس بعمل كامل، تامٌّ الكمال.
فما هذا الكمال؟

المقصود هو الكمال الانسانيّ، كمال النفس، لا كمال الجسد، فالسعادة عمل النفس...

والكمال نوعان: عقليٌّ وخلقيٌّ. الأول نتيجة التعلم، والولد، والنموّ...، الثاني ثمرة السعادة.

انا نفعل الشر طلباً للذلة، ونخرج عن الخير اتقاء للألم...
فإن تكون الفضيلة صفة أفعالنا وأهوائنا، وإن يقترن كلّ فعل أو هوى بالذلة أو الألم، تصبح اللذات والألام متصلة بموضوع الكمال... .

على كمال الانسان أن يكون استعدادا يجعله صالحاً، يجعله أعماله صالحة... .

وكماله الخلقيٌّ كمال أهوائه وأفعاله.

الفضيلة وسط

وهذه الأفعال والأهواء للزيادة، والنقصان، والاعتدال... .

الفضيلة وسط بين طرفين رذيلتين... الشجاعة وسط بين
الخوف والحرأة، بين التهور والجبن. والجود اعتدال، والطرفان
البخل والتبذير...

الكمال الخلقيّ اعتدال، وسط بين رذيلتين، بين الزيادة
والنقصان.

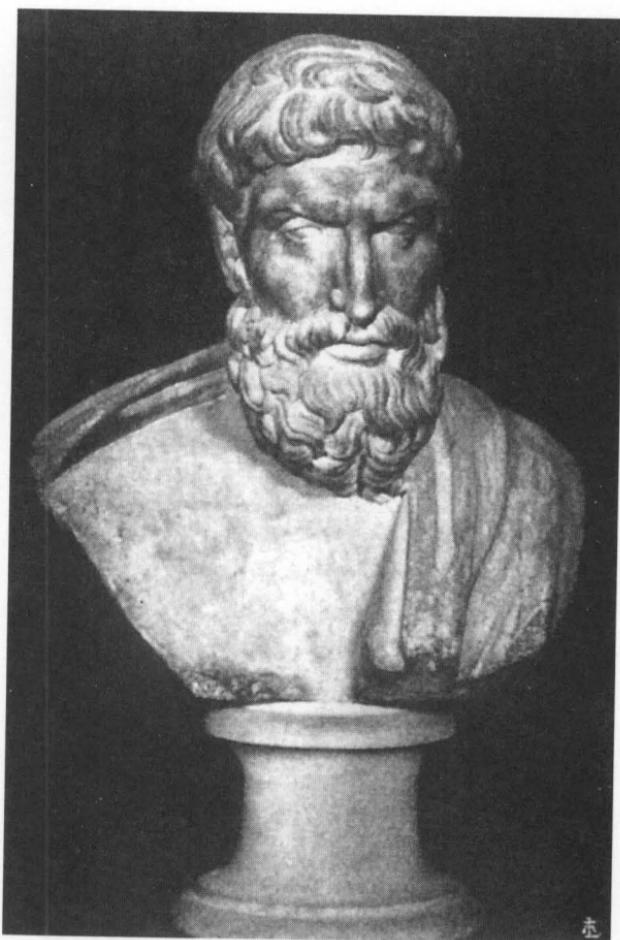
سعادة أرسسطو

السعيد، في نظر أرسسطو:

- ١ - فيليسوف فاضل،
 - ٢ - شريف النسب، صحيح الجسم، جميل، غنيّ، قويّ،
محظوظ،
 - ٣ - سعيد مدى الحياة،
 - ٤ - كبير النفس، صبور على كوارث الدهر.
- فكم من البشر يسعد بكلّ هذه الصفات، أو تجتمع كلّها لديه؟
إنّ أرسسطو الواقعيّ يغالي، يشطّ عن واقعيته، يتصوّر سعيداً
غير موجود، أو نادر الوجود، ويشقى الباقون الأكثرون!
أتفاؤلُ هذا أم تشاوم بكساء تفاؤل شفاف؟!

ولكنّنا على الرغم من هذه المغالاة في المثالية، نظلّ مدينين
لأرسسطو بإيمائه الفلسفة والفضيلة، الحقّ والخير، الدور الأساسي في
سعادة الإنسان.

**سعادة أبيقورس (٣٤١ - ٣٧٠)
لذات طبيعية ضرورية**



Epicuro - Roma, Museo Capitolino

ابيقورس (341 - 270) م.ق

فیلسوف و فیلسوف تائما

ولد ابيقورس في أثينا، وعلم في حديقة يحفر به أصدقاء، رجال ونساء، والصداقة كالعلم هدف.

أشاد لو كراسيوس (٩٨-٥٥) بابيقورس، قال: "انه أول من استطاع تفجير ذاك النور الساطع من أعماق الظلام الدامس، وهدىتنا الى خيرات الحياة الصحيحة... لقد كان إلهًا، أجل إلهًا... ذاك الذي وجد، أول من وجد، ذلك النظام لحياتنا، الذي ندعوه الحكمة."

لابيقورس مؤلفات كثيرة لم يبق منها سوى عناوين، وبعض كلمات رواها عنه تابعوه.

وخلالص مذهبة:

أ— سعادة الإنسان لذاته: السعي اليها طبيعية، وهدف كلّ حيّ.

ب— إنما ليست كل اللذات سواء: ليست السعادة في معاقرة الخمرة وإطالة الولائم الشهية السخية، أو في معاهرة الغلمان والنساء.

ج— اللذات ثلاثة أنواع: لذات طبيعية ضرورية كالأكل والشرب، ولذات طبيعية غير ضرورية كالأطعمة الفاخرة، والخمور النادرة، ولذات غير طبيعية وغير ضرورية كالبذخ في العيش، واحتلال المالك، والحصول على التيجان والتماثيل.

والحكيم يُقدم على النوع الأول، ويحجم عن النوع الثالث، ويقدم على النوع الثاني أو يحجم بمحاراة لما يشير به العقل.

د- والحكيم لا يقدم على لذة يعقبها ألم، أو يمحى عن ألم يؤدي إلى لذة. انه يقوم بحساب دقيق، يوازن بين اللذة والألم، ويؤثر ما تربو لذته.

هـ- وليس قدر الحياة في طولها، بل في ما نجنيه من لذاتها. انك لا تأتي الحياة مرتين، فعشْ يومك، أو كما يقول الشاعر العربي:

تَمْتَعْ مِنْ شَيْمِ عَرَارٍ نَحْدُدُ فَمَا بَعْدَ الْعَشِّيَّةِ مِنْ عَرَارٍ!

و- والحكيم الذي مارس الفلسفة منذ صباه:

١- لا يخشى الألم: فادحه عابر، وطويله يُطاق،

بل يلجمُ إلى الذاكرة والخيال: يذكر، اذا ما عانى ألمًا، لذاتٍ ماضية، أو يتوقع لذات آتية.

٢- لا يخشى الآلهة فهي مشغولة عن البشر بسعادتها، والنفس فانية.

٣- لا يخاف الموت، فالموت لا شيء: "ما دمت موجودا فهو غير موجود، وإذا ما كان لن أكون".

٤- لا يعني بالسياسة، والشأن العام.

٥- يخلو بنفسه، وإن تحفَ به الجموع.

٦- يؤثر الوحدة: عشْ وحيدا تعيشْ سعيدا. إنما الحكيم مصرٌ على معايشة أصدقاء، وأبيقورس جعل من حديقته ملتقي أصدقائه.

٧- يقتصر في المعاش: بعض الفقر غنى، والغني الفاحش فقر. نعم مطمئنا على الحصير، ولا قلقا على فراش وثير.

- ٨- ير غب عن العشق، والزواج، والولد.
- ٩- يحرص على حرّيّته: لا يؤمن بالقدر، ويأبى أن يكون سيداً أو عبداً.
- ز- هم الأبيقوريّ الخلّو من أيّ هم، ولذته المنشودة حصول الجسد على الضروري للعيش، وسلامة النفس من أيّ قلق. الطبيعة تهديه الى ما يحتاج إليه، والحكمة تقيه كلّ الحماقات.
- لا يدعوا ابيقورس الى التمتع بكلّ ما نقدر عليه من لذات، كما شاع عنه، بل بالقدر الكافي لحياة الجسد، وسلامة النفس من كلّ هم، فتحيا حياة هادئة، مطمئنة، سعيدة.
- وأبيقورس نعم بقدر كبير من هذه السعادة، على الرغم مما ألم به من أمراض، وعاناه من آلام.
- وإليك الآن بعض أقواله على ما رواها عنه تابعوه:
 - عندما نقول إن اللذة هي الخير الأسمى لا يعني، في أيّ حال، لذات الفجّار أو ملاذ الجسد،حسبما يدعى بعضهم جهلا، أو حسدا، وإنما يعني غياب كلّ عناء جسديّ، وكلّ قلق في النفس.
 - ليست لذة الحياة في الإدمان على الشراب، أو بهجة الولائم الطويلة، أو معاهرة الغلمان والنساء، أو أكل الأسماك، وأطابق الأطعمة، والمائدة السخّية.
 - مبدأ كلّ خير وأصله حالة البطن الجيّدة، وكلّ ما سوى ذلك من حكمة وثقافة نوافل، وسائل الى هذا الخير الأول.

- نقول ان اللذة بدء الحياة السعيدة وغايتها، فهي أول الخيرات الطبيعية، منها ننطلق لنقبل ما نقبل من الأمور، أو لنهرب منه، وإليها نصل عندما نتّخذ من الإحساس سبيلاً إلى الخير.
- لو كانت لذات الفجّار قادرة على حمايتنا من الأحداث الجحويّة، ومن الموت والألم، قادرة على إفهامنا حدود شهواتنا، لما حقّ لنا أن نلومهم، اذا ما انغمسوا في اللذة، لا يشعرون بألم، أو همّ.
- دليل ايقورس على أن اللذة هي الخير الأسمى سعيًّا كلّ حيٍّ، منذ ولادته، إلى اللذة، وهربه من الألم، وذلك نزعة طبيعية فيه، لا ثمرة دليل.
- علينا أن نستخفّ بكلّ ألم: الفادح منه عابر، وما يدوم يُطاق.
- ما تحدثت أبداً، اثناء مرضي، عن آلامي الجسدية...، ما كنت أبالي بما يدعّيه الأطباء من قدرة. وكنت أقضى حياتي سعيداً وقوراً.
- على الحكيم أن يخلو بنفسه، لا سيما اذا ما اضطرّ إلى مخاطبة الجموع.
- اللذة خيرنا الأول، والطبيعيّ، ولذا لسنا نسعى إلى أيّ نوع من اللذات. نهمل أحياناً لذات كثيرة إن تسبّب لنا ضرراً أفالح. ونؤثر كذلك آلاماً كثيرة، اذا ما كان الصبر الطويل عليها يؤدّي إلى لذة أمتّع.

كلّ لذة خير في ذاتها، وإن لم يجب السعي إلى كلّ لذة. وكلّ ألم شرّ، وإن لم يجب تجنب كلّ ألم.

• من الشهوات ما هو طبيعيٌّ وضروريٌّ، ومنها ما هو طبيعيٌّ غير ضروريٌّ، ومنها ما ليس طبيعياً أو ضرورياً.

• الفقر، الذي لا يتجاوز ما تحتاج إليه طبيعتنا، غنى، والغنى الفاحش فقر مدقع.

• يتطلب الجسد، دون هواة، ألا يموت من الجوع، أو العطش، أو البرد. من هو في مأمن من هذه البلایا، ويأمل في استمرار هذا الوضع، يضارع زوش هناء.

• أفرح بلداتي الحسديّة، اذا ما كان غذائي خبزاً وماء. وإن احترق اللذات فلست احتررها لذاتها، بل لما يعقبها من آلام.

خيرٌ لك أن تحيا مطمئناً، وتنام على الحصیر، من أن تحيا قلقاً، وتنام على فراش من ذهب.

• الله غير مخيف، الموت لا شيء، والخير سهل المنال، والألم سهل الاحتمال.

• على الشاب ألا يتزدد في تعاطي الفلسفة، وعلى الطاعن في السن ألا يتعب من تعاطيها.

سبب البلایا البشرية البغض، والحسد، والهوان، وبعقله يتسامي عليها الحكيم...

لا يتصل الحكيم بامرأة، اذا ما حرم ذلك القانون...
على الحكيم ألا يصبح عاشقاً، أو يهمّه قبره...

ليس الحب هبة إلهية... التعاطي الجسدي غير نافع، وسعيد
السليم من أذاه...

الحكيم لا يتزوج، ولا يلد... ولا يتعاطى السياسة.

• عشْ وحيداً تعشْ سعيداً...، ائِمَّا عشْ بصحبة

اصدقاء.

• اكتفاء الانسان بنفسه أضخم ثروة.

• كتب ايقورس، على فراش النزع، إلى أحد تلامذته:

أكتب لك هذه الرسالة في آخر أيامي، وهو يوم سعيد.

بطني وكلوتاي يُسبّبان لي آلاماً لا توصف، ولكن ما أشعر به
من فرح، اذ أذكر مناقشاتنا، يعوّض عنها.

• يشعر الناظر من اليابسة بالهباء، اذا ما عصفت الرياح
بالأمواج في عرض البحر، ورأى عناء المسافرين، لأنّ ألم انسان
لذّة كبيرة، بل لأنّ نجاة المشاهد من مثل ذلك الشرّ وضع هيء.
ويشعر الناظر بالهباء ايضاً، اذا ما اصطفّ المتحاربون في
ساحة الحرب، واحتدمت المعارك، وكان هو في منأى عن الخطر.
إئِمَّا لا أدعى الى الهباء من سكنى ذرى تحصّنت بعلم
الحكماء، من سكنى مناطق هادئة يمكن إلقاء النظر منها على
الآخرين، ورؤيتهم تائهيـن في كلّ اتجاه، باحثين، كيـفما اتفـق، عن
طريق الحياة، متنافسين في الذكاء، وفي مجد المولد، حادـين، في الليل
وفي النهـار، جـداً فـريـداً لـكي يـشـروا كـلـاً اثـراء، أو يـستـولـوا عـلى
السلطة. يا لتعـاسـة العـقول البـشـرـية، يا لـعـمـى القـلـوب! بأـيـ ظـلـمات،
وبـأـيـ أـخـطـار، تـمـرـ هـنـيـهـاتـ الحـيـاـةـ تـلـكـ! أـلا تـسـمـعـونـ صـرـخـةـ

الطبيعة؟ أهي تطالب بأكثر من غياب الألم الجسديّ، والشعور بهناء الروح، بهناء خلوٍ من القلق والخوف؟

سعادة ابيقورس

سعادة ابيقورس لذّة:

- ١ - قانعة بالسلامة من الجوع والعطش والبرد، بما يكفي لبقاء الحياة الفردية.
- ٢ - مستغنّة بالأصدقاء عن الحبّ، والزوج، والولد، والثروة، والحمد، والسلطة.
- ٣ - غير مبالبة بالألم، الموت، والآلة.

ونرى:

- ١ - إنّ هذه اللذّة القانعة لذّة فقيرة، مقتصرة على ضرورات الحياة، أو تقاد، مقصّرة عمّا يطمح اليه الإنسان في حالات الحقّ، والجمال، والتّفوق، زاهدة في بقاء النوع البشري نفسه. لا يكفي غياب الألم لنكون سعداء.
- ٢ - إنّ ابيقورس يغالي في قدرة الإنسان على الامبالاة بالألم والموت، فالألم يقضي على اللذّة وسعادتها، ما دام قائماً، والموت يقضي على كلّ لذّة قضاء نهائياً.
لذّات ابيقورس محذودة في ما تطمح اليه، واهمة في قدرة صاحبها على تجاوز ما يقضي عليها، تجاوز الألم والموت.

سعادة زينون (٩٣٦٦ - ٩٢١٤)
جار الطبيعة... تسعد!



ابقたتوس

* لم يجد المؤلف صورة لزينون الصوري، فأحلَّ محلَّها صورة تلميذه ابقاتتوس.

زینون فینیقیّ صوریّ، ویُعرَف في الغرب بزینون الکتیومیّ (De Kitium). وکتیوم هذه مدينة قبرصية^(۱) تعايش فيها فینیقیون ویونانیون وفيها ولد زینون، وشبّ.

الى اثنين

وكان والد زینون تاجراً، وكان يحمل بضاعته الى اثنين، يبيع فيها ما يبيع، ويعود حاملاً "كتباً سقراطية" يقرأها، ويقرأ زینون. وزاول زینون مهنة أبيه، وأمّ اثنين أيضاً، فإذا به يرغب عن التجارة، ويُقبل على درس الفلسفة.

قضى تسع سنين تلميذاً لاقرطيس (Cratès) الكلبيّ (Cynique)، الذي كان يدعوه "الفینیقیّ الصغير". وما كان صغيراً، بل طويلاً، نحيل الجسم، أسرّ اللون. وتميز لاحقاً بجسمةٍ طويلةٍ أصاحت لباس أتباعه.

ويفارق زینون استاذه، ويتنقل، على مدى عشرين سنة، من استاذ الى استاذ، ويطالع كتب الفلسفة، ويفكر في كلّ ما سمع وقرأ، وتتكوّن لديه فلسفة، فإذا التلميذ معلم، يعلّم في الرواق، ویُعرَف مذهبه بالرواقية (Stoïcisme)^(۲).

مؤلفاته

لزینون مؤلفات كثيرة، له: مأثورات اقرطيس - الكائن - الجمهورية - الأخلاق - الحياة الطبيعية - الغريزة أو الطبيعة

(۱) وتدعى اليوم لارنكا.

(۲) Stoa: الرواق.

البشرية - الأهواء - الواجب - الكل - العلامات - البصر -
الثقافة اليونانية - الفياغوريون - الكليات - الإلقاء - الفن - فن
الحب - خمس مسائل هوميرية - السماع الشعري - حلول -
تفنيدان.

لم يصل إلينا من كل هذه المؤلفات سوى عناوينها، وبعض
كلمات تناقلها تابعوه، أو استشهد بها خصوصه.

تلامذته

انتشرت الرواية، وُيقسم تاريخها إلى ثلاث مراحل:

١- **الرواية القديمة:** من زينون إلى أقريسيبيوس (Chrysippe) (٢٨٢-٢٠٩).

٢- **الرواية الوسطى:** من ديوجين البابلي (٢٤٠-١٥٠) إلى بوسيدونيوس السوري (١٣٥-٥)، وبينهما شيشرون (٦١-٤٣)، وهو راس (٦٥-٨).

٣- **الرواية الامبراطورية،** المتمثلة بستينيكا (٤ ق.م.-٦٥) وب.م.) وأبكتاتوس (٥٠-١٣٠)، والامبراطور الروماني مرقس اوراليوس (١٢١-١٨٠). وكثير من تأثروا بالرواية بعد ذلك، حتى أيامنا.

شهرته

اشتهر زينون في حياته، وكرّم بعد موته: كرّمه أثينا بتاج من الذهب، وبيناء قبره، وبتمثالٍ من البرونز، وأقامت له كلٌّ من صور وكتيبٍ مثلاً.

ونصل الى مذهب زينون، الى رأيه في السعادة، وهذه خلاصته:

أ- الطبيعة معقولة: الكون وحدة متماسكة تماسكاً أهل الأرض، خاضعة لنظام دقيق، إله، أو عقلٌ كليٌّ، أو قدرٌ - والنتيجة واحدة - فكلٌّ ما يجري في الطبيعة معقول، وبالتالي حسن.

ب- ما يجري في الطبيعة نوعان: الأول ما هو رهنُ ارادتنا كالرأي، والرغبة، والكراهية، كلٌّ ما هو عملنا، والثاني ما ليس لنا عليه يد كالجسد، والغنى، والشهرة، والمراكز، كلٌّ ما ليس عملنا.

وموقف الحكيم متباين:

انه يسلم راضياً بكلٍّ ما ليس عملنا تسليماً مؤمناً بصلاحه، بعناية الله أو تنظيم العقل، أو قضاء القدر، أو الطبيعة العاقلة.

أما ما هو عملنا فنوعان: محار للطبيعة، ومخالف. فالمحاري يتقيّد به الحكيم، وي فعله، والمخالف يُحجم عنه.

ج- تساوي الأضداد: يرضى الحكيم عن كلٍّ ما يجري في الطبيعة مما لا يعود اليه أمره، يساوي بين الأضداد، فسيان لديه المرض والصحة، الفقر والغنى، الخمول والشهرة، الموت والحياة..، لأنَّ كلَّ ذلك مقدَّرٌ، طبيعيٌّ، معقولٌ.

على الحكيم أن يقبل طوعاً ما يحمله كرهها، وأن يرضى عن مساوى الطبيعة رضاه عن محاسنها، لا أن يحاول عبثاً النجاة.

لا يخاف الحكيم، أو يحزن، أو يأسف. اذا لم يكن ما تريده فأرِدْ ما هو كائن تعيشْ هادئاً، مطمئناً، سعيداً... تحصلُ على كلّ ما تريده.

ويحدد أميل براهيم مذهب زينون الرواقيّ، يقول:

"كلّ ما يحدث فبفعل العقل الكلّيّ، بإرادة الله، أو القدر، ويقتصر المطلوب اذاً على موقف الإرادة الداخليّ، على إذعانها للقدر.

يحاول العقل الضالّ مقاومة القدر، يؤثر على الخير العام خيرة الخاصّ، يؤثر الصحة، والغنى، والعزة.

أما الحكيم فيفكّر، ويرضى بالأحداث المقدّرة.

الشرّير يخضع للقوّة، والحكيم يسير بإرادته.

يعرف الحكيم، مثلاً، أنّ القدر يريده أبتر، أو فقيراً، فيرضى بفقره وبتره، ويقول سنيكاً: "لا أحضّع لله، بل أوفق على قراره". خضوع الرواقيّ ليس الإذعان قهراً لما لا بدّ منه، بل رضيًّا إيجابيًّا، فرحًّا بالعلم كما هو.

على ارادتنا أن تنسجم مع الأحداث، أن ترضي بكلّ ما يطرأ منها.

مثالُ الرواقيّ الأعلى واحد: مجازة الطبيعة، أو العقل، أو الله.^(١)

(١) أميل براهيم: تاريخ الفلسفة، باريس، ١٩٢٦: ص. ٣٢٦.

د- صعوبة المذهب: إنما لا يستسهل أحد سلوك الرواقية، فهي مثال أعلى نطمح إلى تحقيقه، وقد تنجح نخبة، أو لا أحد. إنما الأفضل أن نظلّ نسعى، ونتقدّم على قدر ما تسمح الطاقات.

هـ- الدورات الأبديّة: هدف الإنسان السعادة، أمّا ككلّ فلا هدف له: انه يسير، ويعود، في دورات متجددة، لا فرق بين دورة ودورة، إلى ما لا نهاية له.

انتهينا من عرض ما علّم زينون في مبادئه الأساسية، ونقل لك أهمّ ما جاء في ملخص (Manuel) ابقたتوس (١٣٠-٥٠)^(٢) لترى مبادئ الرواقية في نصوص، وترى كيف تحسّدت تلك المبادئ في أبرز مظاهر الحياة.

الملخص حوالى أربعين صفحة، وثلاثة وخمسون عنواناً، ونقل منها العناوين التالية:

(٢) ابقتابوس أهمّ روائيّ في العهد الرومانيّ الأمبراطوريّ، وقد يكون أكبر روائيّ بعد زينون.

انه أسيويّ جيأ به من روما كعبد - وهذا معنى اسمه - حيث تعلم الرواقية على أحد اساتذتها.

وكان قد نُفي من روما، سنة ٩٣، في من نُفي من الفلاسفة، فأقام مدرسة في منفاه، وتلّمذ عليه كثيرون.

لم يؤلف ابقتابوس كبيأ، شأنه سقراط قبله، وأفلوطين بعده. هو أحد تلامذته الآسيويّين، الذي جمع ما علّم في كتاب ضخم دعاه محادّثات (Entretiens)، ثمّ اقتبس منه أهمّ ما فيه في ملخص (Manuel).

١- ما يعود إلينا أمره وما لا يعود

ما يعود إلينا أمرُه الرأي، والإرادة، والرغبة، والكراهية، كلُّ
ما هو عملنا. وما لا يعود: الجسد، والغنى، والشهرة، والماكز،
كلُّ ما ليس عملنا.

٢- الرغبة والكراهية

غاية الرغبة انتظار المغوب فيه، وغاية الكراهة اتقاء ما نفر
منه.

تعيسٌ من لا يحصل على ما يرغب فيه، شقيٌّ من يقع في ما
يكره.

لا تبغض سوى ما يخالف الطبيعة مما يعود أمرُه إليك، فلا تقع
في ما تهرب منه.

اما اذا خفتَ المرض، او الموت، او الفقر، فمصيرك التعasse.
لا تكرهْ أيّ شيء مما لا يعود أمره إليك، بل اكرهْ كلَّ ما هو
رهن ارادتنا، ويخالف الطبيعة.

٣- لائمٌ بين ما تهوى وطبيعة الأشياء

لا تنسَ أن تبصّر في كلٌّ ما يستهويك، في ما يقضي
 حاجاتك، أو انت تحبه...
إن تحبَّ إماء ترابياً^(١) فقلْ إنك تحبَّ إماء ترابياً، ولا تضطرِّ
إن هو تحطم.

(١) الإناء الترابي: جسده.

وإن تعانق ابنك، أو امرأتك، فقلْ أنك تحبَّ إنساناً، فلا
تضطرب إن هو مات.

٨ - أردِ الأحداث

لا تطلب أن تجري الأحداث كما يروق لإرادتك، بل حاول
أن تري الأحداث كما تجري، تعيشْ حياتك سعيداً.

١٢ - حافظْ على هدوئك

أتريد التقدُّم في مسالك الحكمة؟ تخلُّ عن مثل هذه
الاعتبارات: إن أهملْ أعمالي فاتني معاشي، وإن لم أعقِّب عبدي
صار سيّنا.

لخَيْر لك أن تموت جوعاً، وتظل دون جهد أو خوف، من أن
تعيش في الرخاء، ونفسك قلقة. وخَيْر لك أن يكون عبده سيّنا
من أن تكون انت تعيساً... فلكلّ شيء ثمنه.

١٣ - استهِنْ بالرأي العام

أتريد التقدُّم في مسالك الحكمة؟ اصبرْ اذاً، إن يدُ موقفك من
الأشياء الخارجية سلوكَ مجنون أحمق.
إن تبدُّ جاهلاً فقابلْ ذلك بالصبر.

وإن ينظرُ إليك الناس نظرتهم إلى إنسانٍ ذي شأنٍ فليخامرك
الشكّ في قدرك.

لصعبُ الجمع بين إرادة تجاري الطبيعة والخيرات الخارجية. إن
عنَ يأخذاهما تهملُ الأخرى.

٤ - الحرية الحقّ

مجنونٌ أنت إن تشتتِ الخلود في الحياة لأولادك، أو امرأتك، أو اصدقائك، لأنك تريد أن يكون رهن ارادتك ما ليس رهنها، وأن يكون لك ما هو غريب عنك...

لا تشتتِ، أو تكره، ما هو ملكُ سواك، وإن تفعلْ تعيشْ عبدا.

٥ - وليمة الحياة

لا تنسَ أن تسلك في الحياة سلوكك في وليمة:

إن يصلْ صحنٌ إليك فمدّ يدك، واعتدلْ في ما تتناول منه.
إن يُبعدْ عنك فلا تتمسك به، وإن يتأنّرْ وصوله فلا تُقبلْ
عليه بالشهوة، وانتظرْ وصوله.

افعلْ ذلك بالنسبة إلى الأولاد، والمرأة، والمجد، والثروة، تصبح
يوماً جديراً بأن تُدعى إلى وليمة الآلهة.

وإن تُمسِكْ عما يقدم لك، وتحقره، فلن تُدعى إلى وليمة
الآلهة فحسب، بل تصبح مثلهم ومنهم.

٦ - مسرحية الحياة

لا تنسَ أنك، في هذه الدنيا، مثلّ تقوم بالدور الذي خصّك
به مولاك، بدور قصير إن إراده قصير، وطويل، إن أراده طويلاً.
إن تمثلّ دور متسلّق فمثيله تمثيلاً طبيعياً. وأفعل كذلك إن
تمثال دور أعرج، أو قاضٍ، أو مواطنٍ عاديّ.
شأنك تمثيل دورك تمثيلاً حسناً، أما اختياره فشأن سواك.

٤ - كيف تكون نافعا

تسألني: ما سيكون مقامي في الدولة؟

سيكون ما يسعك الحصول عليه، إن تحرص على إخلاصك، وأخلاقك الحسنة.

أمّا اذا تخليت عن هذه الصفات لخدم وطنك فأي خدمة تُرجى من انسانٍ عارٍ من الحياة والإخلاص؟

٣١ - التقوى والعنابة

اعرفْ هذا جيداً:

تقوى الآلة في نظراتك الصحيحة إليهم، في إيمانك بوجودهم، وإدارتهم الكون إداره عادلة، وفي اقتناعك بواجب طاعتك لهم، وتقيدك بهم، وخضوعك خضوعا راضيا عن كلّ ما يحدث على أنه عمل عقل حكيم كلّ الحكم. وهكذا لن تشكو أبداً من الآلة، لن تتهامم بالتهاون في أمورك.

٣٢ - وصايا في السلوك

حدّد لنفسك نظاما، نوعا من السلوك، اتخذه قانونا لك، كنتَ وحدك أو بصحبة الآخرين:
حافظ على الصمت عادةً، لا تقل سوى الضروري، وبكلام قليل.

تكلّم نادرا، وحين تقضي الظروف، تكلّم لا على التوافه، أو المبارزات، أو سباق الخيل، أو الألعاب الرياضية، أو الطعام

والشراب، وكلُّ ما تتناوله الأحاديث عادة. لا تتكلّم، بنوع خاصٍ، على الأشخاص لتهجومهم أو لتمدحهم، أو لتقارن بينهم...

ان تكون بين غرباء فالزم الصمت.

لا تسرفُ في الضحك، أو تضحك من أشياء كثيرة...
تهربُ من ولائم الآخرين، ومن صحبة الغرباء عن الفلسفة...، فإن يكن رفيقك وسخاً تصبحْ حتماً مثله، مهما تكون نظيفاً...

إن يخبروك أنَّ أحدهم أساء القول فيك فلا تحاولْ أن تبرئ نفسك، بل اكتفي بالقول: انه يجهل عيوبي الأخرى وإلا لكان تمادي في الكلام...

احجمْ، في مجالس الحديث، عن الإسراف في الكلام على مآثرك، أو على أخطار ماضية. إن تجد لذة في الحديث عن مغامراتك فالآخرون لا يجدونها في سماعك.

٣٤ - في قهر النفس

احذرِ الاستسلام لسحر اللذة، وحلواتها، وفتنتها!...

٤٠ - التبرج والحكمة

ما إن تبلغ المرأة سنَّ الرابعة عشرة حتّى يدعوها الرجل: يا سيدتي، فتبدأ تترّج واضعةً في التبرج كلَّ أملها.
انَّه لعملٌ جدير بالتقدير إفهامها أن لا شيءٌ أخرٌ بالتقدير من حكمتها، وحشمتها.

٤١ - العناية بالجسم

حِمَاقَةُ العناية الدقيقة بالجسم، إنفاق الوقت الطويل في الرياضة البدنية، وفي الأكل والشرب.

علينا أن نفعل هذا كشيء ثانويّ، فعلى ثقافة الفكر أن تستوعب كلّ اهتمامنا.

الصبر على السباب

لا تنس، إن أساء إليك انسان، أو سبّك، وأنه يحسب عمله هذا مناسباً، ويستحيل عليه أن يرى ما أنت تراه.

إن يكن حكمه خطأً فهو لا يضرّ سوى نفسه، لأنّه قد ضلّ.
إن يحكم أحداً على دليل بالخطأ، وهو دليل صحيح، فالإذى لا يعود على الدليل، بل على من أخطأ.

اتّخذ هذا المبدأ قاعدة تصرّف على من يسبّك.

٤٢ - الفضيلة والغنى والفصاحة

خطأة هذه الأدلة: أنا أغنى منك فأنا أحسن منك، وأنا أفضّل منك فأنا أفضّل.

النتيجة الصحيحة: أنا أغنى منك فثروتي تفوق ثروتك، وأنا أفضّل منك فخطابي يفوق خطابك.
أمّا انت فلست الثروة، ولا الخطاب.

٥١ - تقيد بالعقل

... أصبح سقراط حكيمًا كاملاً لأنّه التزم، في كلّ الظروف،
التقييد بالعقل.

فإن لم تكن قد صرت سقراط فعليك، على الأقلّ، أن تحيا
حياة من ي يريد أن يصيده.

٥٣ - الإذعان للقدر

... سرّ بي، يا جوبيتر، وسرّ بي، أيّها القدّر، إلى حيث
حدّدتما لي مكاناً، وسأتبعكمَا دون تردد. وإن أقاومْ فمذنبُ أنا، إذ
ليس في وسعِي إلاّ اتّبعكمَا.

من يختار راضياً ما هو ضروريٌّ يكنْ، في نظرنا، حكيمًا، عالماً
بالأمور الإلهيةَ.

إن تكن هذه ارادة الآلة، يا قريطون، فلتكن^(١)!

سعادة زينون

عدّ زينون بحارة الطبيعة - طبيعة العالم وطبيعتنا - سبيلاً إلى
سعادتنا.

ومواطن الوهن في هذا الرأي متعدّدة، وأبرزها:

١ - خطأ الإيمان بأنّ ما في الطبيعة حسن، وتكتيفك الأمراض
والعاهات، السوام والكواسر، الأعاصير والزلزال...

(١) هذا كلام سقراط لقريطون، إذ جاء بنبه بمorte في الغد.

وعسيرة قدرتنا كل العسر على مساواة الأضداد، مساواة
المرض بالصحة، والفقر بالغنى، والخمول بالشهرة...

٢- وخطأ الإيمان بأن كل ما يجري في الطبيعة مقدر لا
مهرب منه، فالإنسان قادر على المقاومة، ويكتفي ما حقق العلم
من انتصارات ومكاسب، وما يتحقق...

ثم كيف يكون الغنى والشهرة قدرا لا دور لإرادتنا فيهما؟

٣- وهم اعتقادنا أننا نعرف طبيعتنا معرفة كافية صحيحة
لنحاريها، نفعل ما يناسبها، ونهمل ما يؤذيها، ناهيك بما في هذه
المجارة من عسر وعناء... ومن شر أيضا!

في فلسفة زينون استسلام وغرور بالنفس معا، رضي عن كل
ما يجري في العالم، واستسهال معرفة طبيعتنا وبماراتها، وفيها إيمان
ساذج بصلاح كل ما في طبيعتنا من أهواء.

سعادة أبي العلاء المعرّي
زهدٌ في ما يُظن سعادة!



أبو العلاء المعرّي

(بريشة جيران خليل جران)

تحتصر رأي أبي العلاء (٣٦٣-٤٤٩ هـ = ٩٧٣-١٠٥٧) في السعادة كلمتان: واقعٌ و موقف.

أما الواقع فهو:

أ - شقاء أبي العلاء: مشوه الوجه، أعمى، فقير، وحيد، "رهين محبسين، بيته و عماه".

ب - تشاوئمه: الإنسان في نظره:

١ - فاسد الطبع، والدين، والخلق، والسياسة. والمرأة أفسد، ومفسدة.

٢ - شقيّ، يشقّيه عناء القوت، واللباس، والمرض، والفشل في طلب الحبّ، والصداقت، والغنى، والمجد.

ج - كفره بالأديان، وترددّه بين الجبر والحرية.

د - إيمانه بوجود إله قادر حكيم، على حيرة في عنایة هذا الإله، في خلقه إنساناً فاسداً، شقيّاً.

هـ - شكّه في خلود النفس وبعث الأجساد، وبالتالي في الشواب والعذاب.

و - إيثاره العدم على الوجود، والموت على الحياة.

وأما الموقف فهو:

أ - إيجامه عن الانتحار، وإيثاره الخير على الشرّ، خشية خلود وجزاء، ويتقى بسكال في (رهانه) المعروف^(١) ، اذ يقول:

(١) رهان بسكال: إن الله إما موجود، وإنما غير موجود، فإلى أيّ الفرضين نميل؟ هب العقل لا يستطيع في المسألة بتاتاً... فإنه يجب أن تراهن، لأنك على الرهان مضطر... .

قال المنجمُ والطبيبُ كلاماً:
 لا تُحشرُ الأجسادُ! قلتُ: إليكما
 إن صحَّ قولكم فلستُ بخاسِرٍ
 أو صحَّ قولي فالخسار علىكما
 إن لم تعدْ بيدي منافعٍ بالذِّي
 آتني، فهُنَّ مِنْ عائِدٍ بِيَدِيكما؟!

ب - زهده في ما يُقبل عليه الناس:

- ١ - في المال ورغد العيش لما يكلّفان من عناء وشّرّ، فلا
خمور، ولا لحوم، ويكتفي وقفُّ وثلاثون ديناراً في السنة.
- ٢ - في السلطة والجحود لصعوبة الوصول، وخطره، وزوال
كلّ وصول.
- ٣ - في الزواج، والصدقة، والحبّ، بل في الحياة نفسها.
- ٤ - في معاشرة الناس لما فيها من شرّ ونفاق.

ما الربح وما الخسارة، اذا راهنت أنَّ الله موجود؟ انك إن تربّع ربحت كلَّ
 شيءٍ، وإن تخسر لم تخسر شيئاً. راهنْ اذاً أنَّ الله موجود، ولا تترددْ!
 هذا حسن عجيب! نعم، يجب أن أراهن، ولكن ألا أحاطر في المراهنة؟
 اسمع! انه حين يستوي حظك من الربح والخسارة، وتراهن على حياتين
 بحياة، فالمراهنة معقولة. وإن راهنت على ثلاثة فالمراهنة واجبة، لأنك مضطرك إلى
 المراهنة، ولأنَّ حظك من الربح والخسارة متعادل. وما القول اذا راهنت بحياتك
 الواحدة على حياة أبدية وهناء أبدىي؟...
 أمن الممكن أن ننصر أغفالنا على ما هو يقيني؟... كم بخافر ومخاطر في
 الأسفار، وفي الحرب!...

يزهد ابو العلاء في كل ذاك لا زهد القادر، الراغب عن متع الدنيا، بل زهد العاجز، الهارب من الكد والعناء الى الاستقرار والهدوء.

وقد استطاع ابو العلاء الوصول، او كاد، إلى ما أراد، لا يزعجه فقر او يهمه غنى، لا يستهويه مجد او يقلقه خمول، لا يحن الى انس او يميل الى جسد، لا يعبأ بحياة او يخاف من موت، لا يطرب لغناء او يدمع لنواح:

غَيْرُ مُجَدٍ فِي مَلْتَيْ وَاعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكٍ وَلَا تَرْنَمُ شَادِ
وَشَبِيهُ صَوْتُ النَّعِيْ اِذَا قَيْسَ بَصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادِ
أَبَكَتْ تَلَكُمُ الْحَمَامَةُ اَمْ غَنَّتْ عَلَى فَرْعَ غَصْنَهَا الْمَيَادِ
صَاحِرٌ، هَذِي قَبُورُنَا تَمَلَّأُ الرَّحْبَ فَأَيْنَ الْقَبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ؟
خَفَّرَ الْوَطَأَ مَا أَظْنَنَّ أَدِيمَ الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
سَرُّ، إِنْ اسْطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ، رُوِيدَا لَا اخْتِيَالًا عَلَى رَفَاتِ الْعَبَادِ
فَقَبِيْحٌ بَنَا، وَإِنْ قَدَمَ الْعَهْدُ، هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجَدَادِ
رَبُّ الْحَدِيدِ قَدْ صَارَ لَهُدا مَرَارَا ضَاحِكٌ مِنْ تَزَاحِمِ الْأَضَدَادِ
وَدَفِينٌ عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْأَبَادِ
تَعَبٌ كُلُّهَا الْحَيَاةِ فَمَا أَعْجَبَ الْأَمْنَ رَاغِبٌ فِي اِزْدِيَادِ
ضَحْجَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةً يَسْتَرِيعُ الْجَسْمُ فِيهَا، وَالْعِيشُ مَثُلُ السَّهَادِ!^(۱)

(۱) من قصيدة رثاء.

ونتقل بك الى (لزوميات) المعرّي فنتقل بعض ما يعبر عما
أوردناه له من آراء:

بنو حواء

إن مازتِ الناسَ أخلاقَ تُقاسُ بها
فإنهم عند سوء الطبع أسواءُ
أو كان كُلُّ بنبيٍّ حواءً يشبهني
فبئس ما ولدت في الخلق حواءً!

غلبة الهوى

وقد غلب الأحياء في كُلِّ وجهةٍ
هواهم، وان كانوا غطارةً غُلباً
كلابٌ تفاوت أو تعاوت لحيفةٍ
وأحسبني أصبحت أاماً كلباً

كالذيب

يغدو على خلّه الإنسان يظلمه
كالذيب يأكلُ عند الغرّة الديّا

ظلموا الرعية

مُلَّ المُقام فكم أعاشر أمةٍ
أمرت بغير صلاحها أمراؤها

ظلموا الرعية، واستحازوا كيدها
فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

تباین الأدیان

وَجَدْنَا اخْتِلَافًا بَيْنَنَا فِي إِلَهِنَا
وَفِي غَيْرِهِ، عَزَّ الَّذِي جَلَّ وَاتَّحَدَ
لَنَا جَمْعَةٌ، وَالسُّبْتُ يُدْعَى لِأَمَّةٍ
أَطْافَلَ بِمُوسَى، وَالنَّصَارَى لَهَا الْأَحْدَادُ

ديننا رباء

قَدْ حَجَبَ الدِّينَ وَالضَّياءُ
وَأَنَّمَا دِينَنَا رِبَاءُ
يَا عَالَمَ السَّوْءَ مَا عَلِمْنَا
أَنَّ مُصْلِيَكَ أَتَقِيَاءُ
لَا يَكْذِبُنَّ امْرُؤٌ جَهُولٌ
مَا فِيكَ لِلَّهِ أُولَيَاءُ
كَمْ وَعَظَ الْوَاعظُونَ مِنَّا
وَقَامَ فِي الْأَرْضِ أَنْبِيَاءُ
فَانْصَرَفُوا وَالبَلَاءُ بَاقٍ
وَلَمْ يَرُلْ دَأْوَكَ الْعِيَاءُ
حَكْمٌ جَرَى لِلْمَلِكِ فِينَا
وَنَحْنُ فِي الْأَصْلِ أَغْبِيَاءُ

لا صديق

قالوا: فلان جيد لصديقه
لا يكذبوا، ما في البرية جيد!

حاول رضاها

لعمرك ما غادرت مطلع هضبة
من الفكر الا وارتقيت هضابها
أقل الذي تخني الغواني تبرّج
يُري العين منها حلتها وخضابها
فإن أنت عاشرت الكعب فصادها
وحاول رضاها، واحذرن غضابها
فكم بكرت تسقي الأمر حليلها
من الغار، اذ تسقي الخليل رضابها

شر النسل

خير النساء اللواتي لم يلدن لكم
فان ولدن فخير النسل ما نفعا
وأكثر النسل يشقى الوالدان به
فليته كان عن آبائه دفعا
أضع داريك من دنيا وآخرة
لا الحي أغني، ولا في حالك شفعا

وكم سليله رجاه للجمال أب
فكان خزيماً بأعلى هضبة رُفعا

بدا شيبة

بدا شيبة مثل النهار ولم يكن
يشابه فجراً أو نجوم ظلام
يمدّثها ما لا تريده ساعه
ولم ييقَ عند الشيخ غير كلام
تودّ لو أنَّ الله أعطاه حتفه
وكيف لها من بعده بغلام؟!

حياة عناء

حياة عناء وموت عننا
فليت بعيداً حمام دنا
يد صفرت، ولها ذوت
ونفس تمنت وطرف رنا
يحاول من عاش ستر القميص
وملء الخميس، وبراء الضنى
أعائبة جسدي روحيه
وما زال يخدم حتى وني
ولي مورد بإماء المنون
ولكن ميقاته ما أنى

نادي حشا الأمّ

نادي حشا الأمّ بالطفل الذي اشتملت
عليه: ويحك! لا تظهرْ ومتْ كمداً
فإن خرجمتَ إلى الدنيا لقيتَ أذى
من الحوادث، بلة القيظ والحمداء
وما تخلّصُ يوماً من مكارها
وأنت لا بدَّ فيها بالغًّا أمداً
وربَّ مثلك وافها على صغرٍ
حتّى أسنَ فلم يُحمد وما حمداً
لا تأمن الكفُّ من أيامها شللاً
ولا النواطرُ كفًا عنَّ أو رمداً

إذا شقيتَ

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن
الاً وعندِي من أخبارهم طرفُ
يخبر العقلُ أنَّ القوم ما كرموا
ولا أفادوا، ولا طابوا، ولا عرَفوا
عاشوا قليلاً وما جروا في ضلالتهم
ولا يفوزون إن جوزوا بما اقترفوا
إذا شقيتَ فجسم ناله نصبُ
وإن ترتفَّ فماذا ينفع الترفُ؟

هـنـئـ

قضى اللـهـ أـنـ الـأـدـمـيـ مـعـذـبـ
إـلـىـ أـنـ يـقـولـ الـعـالـمـوـنـ بـهـ قـضـىـ
فـهـنـئـ وـلـاـةـ الـمـيـتـ يـوـمـ رـحـيـلـهـ
أـصـابـوـاـ تـرـاثـاـ،ـ وـاسـتـرـاحـ الـذـيـ مـضـىـ

الموت أفضل

موت يسير معه راحة
خير من اليسر وطول البقاء
وقد بلونا العيش أطواره
فما وجدنا فيه غير الشقاء

الموت أولى

كأس المنية أولى بي وأروح لي
من أن أكابد إثراء وإحراجا

عمى العين

عمى العين يتلوه عمى الدين والهدى
فليلتـيـ القـصـوـىـ ثـلـاثـ لـيـالـ
وـهـوـنـ اـرـزـاءـ الـحـوـادـثـ أـنـيـ
وـحـيدـ أـعـانـهـاـ بـغـيرـ عـيـالـ

فدعني وأهوا لا أمارس ضنكها
وإياك عنّي لا تقفْ بخيالي!

زهد

من مذهبِي أن لا أشدّ بفضةَ
قدحِي، ولا أصغي لشرب معوج
لكن اقضى مدّتي بتقْنُع
يعني، وأفرح باليسير الأروج
هذا ولست أودّ أنّي قائم
بالمملّك، في ثوابي... أغرّ... متوج

قوتي غنائي

القبر لاريب منزول فما أربى
إلى ارتقاء رفيع السمك مصعوبٍ
قوتي غنائي، وطمرى ساتري، وتقى
مولاي كنزي، ووردُ الموت موعدى

كلاب

أصالح هي الدنيا تشبه ميّة
ونحن حواليها الكلاب النوابخُ

فمن ظلَّ منها أكلاً فهو خاسِرٌ
ومن عاد منها ساغِباً فهو رابحُ

أبيات

- آليْتُ لو رُزق العديمُ فطانة
لنفي الهموم وبات غيرَ محسَّرٍ
- من لي بجسم لا يحسّ رزية
لكن يُعدّ كتربة أو جلدي!
- من وسخ صاغ الفتى ربُّه
فلا يقولُنْ توسخْتُ!
- مُلِّ المقام فكم أعاشر أمة
أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية، واستحازوا كيدها
فعدوا مصالحها، وهم اجراؤها
- دينٌ وكفرٌ وأنباء تقصّ وفرقانٌ ينصّ وتوراة وإنجيلٌ
في كلّ جيلٍ أباطيلٌ يُدان بها
فهل تفرد يوماً بالهدى جيلٌ؟
- اذا كنت من فرط السفاه معطلاً
فيما جاحَد اشهدُ أنّي غيرَ جاحِدٍ

فَانِي رأيت الملحدين تعودهم
نداتهم عند الأكف اللواحدِ

• يخربونك عن رب العلی كذبا
وما دری بشؤون الله انسانُ

• ودان أنس بالجزاء وكونه
وقال رجال: إنما انتم بقل!

• أرواحنا معنا وليس لنا بها علم
فكيف اذا حوتها الأقرب؟!

• وقيل: نفوسُ المرء تستطيع فعلها
وقال رجال: بل تبيّن جبرها

• نفارق العيش لم نظر بمعرفة
أيُّ المعاني بأهل الأرض مقصود؟!

• رأيت الحق لؤلؤة توارت
بلج من ضلال الناس جم

المعري والسعادة

نظريّاً:

- ١ - كفر ابو العلاء بالدين، وشك في خلود النفس، وحار في فساد الانسان وشقائه، دون أن يشك في وجود إلهٍ خالق قادر حكيم.
- ٢ - وعي ما يلقى الانسان من عجز عن تحصيل مقوّمات العيش، وبلغ المجد، ومن نفاق الجليس، وعناء الزواج، ولا سيّما ما يخبره هو من كل ذاك.

عمليّاً:

- ١ - وقى أبو العلاء (رهانه) الانتحار، أو الانفلات الخلقيّ.
- ٢ - وقته عزلته أذى الناس، ووقاه زهدُه عناء السعي، ومرارة الفشل.

ما كان في طاقة أبي العلاء الخلاص من معطياته العقلية، أو بمحاراة النفس في كفاحها من أجل هناء العيش، فكان (رهانه) مخرجًا عقلياً سليماً، وكانت عزلته وزهده أقرب إلى التسلّيم بالواقع، بل إلى الاستسلام له!

أبو العلاء أولى بالشفقة منه بالنّقمة، والنقد الصارم.

سعادة الخيّام
خمرة وامرأة وروض!



الخيّام

خُرْة وامرأة وروض!

أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مَعَنْتَ

عُمَرُ الْخَيْام (توفي سنة ١١٢٢ هـ = ١١٥٧). شاعر فارسي،
شاعر شرقيٌّ حكيم كأبي العلاء المعري.
تعلم العربية، وألّف فيها، ونظم أبياتاً من الشعر.
نظم رباعيات تعددت مخطوطاتها وتفاوت أحجامها.
والخيّام هذا:

أ - متشائم: العمر قصير، والدهر هموم، والعدم خير من
الوجود.

ب - شاكٌ: غير مطمئن إلى خلود النفس، ووجود جنة
ونار^(١).

ج - مؤمن بالقدر: قادر وجودنا، وقدر صفاتنا وأفعالنا، فما
ذنبنا لنجاسب، ونعاقب؟

د - مؤمن بوجود الله: والله رحيم، كريم، "وعفوه يزدان
بآثاما!"

ه - زاهد في السلطة والجحود، قانع بحرّيته، لا سيد ولا عبد.

(١) جاء في "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" لجمال الدين القفطاني كلام على الخيّام هذا بعضه: "وقف متأنّرون الصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها إلى طريقتهم، وتحاضروا بها في مجالساتهم وخلواتهم، وبواطنها حبات للشريعة لواسع ومحامع للأغلال جوامع.

ولما قدر أهل زمانه في دينه، وأظهروا ما أسرة من مكتونه، خشي على دمه، وأمسك من عنان لسانه وقلمه، وحجّ متاقاة لا تقاية، وأبدى أسرارا من السرار غير نقية..."

وانطلاقاً من هذه المقدّمات، الشائعة في رباعيّاته، والمتكرّرة،
 يصلُّ الخيّام إلى هذه النتيجة: إلى وعيِّ الإنسان قصرَ حياته،
 وتناسيه ما مرّ به، أو سوف يمرّ، فإلى حصرِ همّه في الحاضر العابر،
 في جنّي ما يستطيع من هناء ولذة وسرور.
 وخير لذاته:

١ - الخمرة والعود والرياض

لا الخمرة، التي عنّاها الصوفية، خمرةُ الحبِّ الإلهيّ، بل خمرة
السكارى والحوانيت يشربها الخيّام ما راقه شربها، ينسى بها
همومه، وذاته، ويلقى ما يلقاه كُلُّ مدمِّنٍ على الشراب من ثُلَّ
وسرور.

ولا يشرب الخيّام الخمرة في داره، بل في جوّ طبّيعيّ ملائم،
على ضفّة نهر، بين الرياض، وعلى أنغام العود.

٢ - المرأة:

والمرأة منيّته الثانية. ولكن أيّ امرأة؟
ليست زوجاً حليلًا حلالاً.

وليست حبيبة تصدّه، أو تحول دون وصوله إليها حوائل.
وليست عشيقة واحدة اكتفت به، واكتفى بها.
وليست امرأة متفوقة تندوّق الشعر، أو تتقن فنّا، أو تتألّق ذكاء.
إنّها امرأة، أيّ امرأة تعجبه، جليسه بمحالس الانس، وهواء
الكأس، وشهوة العين والجسد!

هم الخيام للذّة جسدية تنسيه همومه وتشبع شهوته، فهو يؤثر جنة الأرض على جنة الآخرة، أو يستبق بها تلك الجنة، يستبق وعدا بندى!

بين رباعيات الخيام ولزوميات المعري مواطن شبه: كلا الشاعرين متشائم، شاك في خلود النفس، وتعاليم الدين. ولكن النتيجة اختلفت: رأى المعري راحته في عزلة تشبه الزهد، وليس زهدا، وما شرب حمرة، أو هو امرأة، وأقبل الخيام على الخمرة والمرأة معا، رأى فيما كلّ الهناء: متشائمان نقىضان!
ونقل لك نماذج من الرباعيات^(١) تتبيّن فيها، بلغة الشعر، ما نثرناه وأوجزناه:

من تحرّى حقيقة الدهر أضحت
عندَه الحزنُ والسرورُ سواءٌ
إن يكن حادث الزمان سيفنى
فليكنْ كُلُّهُ أسىًّا أو هناءً!



من يكن يضحك يوماً
يقضي حولاً بالبكاء



(١) للرباعيات ثلاث ترجمات عربية: لحمد السباعي، ورديع البستانى، وأحمد الصافى النحفى. ليس الأصل المنقول واحداً، ولكن المضمون متقابلاً. وقد آثرنا ترجمة أحمد الصافى لأنها نقل عن الأصل الفارسي، لا عن نقل غربي.

دُغْ عنك حرص الوجود واهنًا
إن أحسنَ الدهرُ أو أساءَ
واعبٌ بـشـعـرـ الحـبـيبـ واـشـربـ
فـالـعـمـرـ يـمـضـيـ غـدـاـ هـبـاءـ

ان تواعدتم، رفاقي، لأنسـ
وسعدتم بالـغـادـةـ الهـيفـاءـ
وأدـارـ السـاقـيـ كـؤـوسـ الـحـمـيـاـ
فـاذـكـرـونـيـ فيـ شـربـهاـ بالـوعـاءـ

ان كنتَ لا تفني سوى مرّةـ
فافـنـ، وـدـغـ هذاـ الأـسـىـ وـالـشـقـاءـ!
وـكـنـ كـأـنـ لمـ تـحـوـ ذـاـ الجـلـدـ أوـ
ذـاـ الدـمـ وـالـلـحـمـ، وـخـلـ العنـاءـ!

ما الكـوـنـ دـارـ إـقـامـةـ فـأـخـوـ النـهـيـ
أـولـيـ بـهـ أنـ يـدـمـنـ الصـهـباءـ
أـطـفـئـ بـعـاءـ الـكـرـمـ نـيـرانـ الأـسـىـ
فـلـسـوـفـ تـذـهـبـ فـيـ الـهـوـاءـ هـبـاءـ

احذرْ بدهرك قلَّة الرفقاء
واصحابْ بنيه، وأنت عنهم ناءٌ
لقد آنَ الصبور فقمْ حبيبي،
وهاتِ الراحَ واشرُغ بالغناءِ



ما شهدَ النارَ والجنانَ فتَّى
أيُّ امرئٍ من هناك قد جاءَ؟



اذا كنتَ تجزي الذنبَ متنِي بمثله
فما الفرق ما بيني وبينك، يا ربِّي؟



أتقولُ: أين تروح من بعد الرّدِّ؟
هاتِ المُدام، وأينما شئتَ اذهبِي!



يا جاهلاً معنى الهوى إنما
معنى الحياة الحبُّ والانجداب



قد حظينا بالغنا والراح في الدارِ الخرابِ
وفرغنا من مني الرحمة أو خوف العقابِ



لَا عَشْتُ إِلَّا بِالْغَوَانِي مَغْرَمًا
وَعَلَى يَدِي تَبُرُ الْمُدَامُ الدَّائِبُ
قَالُوا: سَيَقْبَلُ مِنْكَ رَبُّكَ تُوبَةً
لَا اللَّهُ قَابِلُهَا، وَلَا أَنَا تَائِبٌ!

•
وَإِذَا مَتُّ فَاجْعَلُوهُ الرَّاحَ غَسْلِي
وَمِنَ الْكَرْمِ فَاصْنَعُوهُ تَابُوتِي!

•
أَنْ نَلَتُ مِنْ حَنْطَةٍ رَغِيفًا
وَكُوْزًا مَاءً وَفَحْذَ شَاهَةً
وَكَانَ إِلَفِي مَعِي بَقْفِرٍ
فُقْتُ بَذَا عِيشَةَ الْوَلَاهَ

•
مَا اسْطَعْتَ كَنْ لَبِنِ الْخَلَاعَةَ تَابِعًا
وَاهْدَمْ بَنَاءَ الصَّومَ وَالصَّلَوَاتَ

•
هَلَمْ، حَبِيبِي، نَتْرَكُ الْهَمَّ فِي غَدٍ
وَنَغْنِمُ قَصِيرَ الْعَمَرِ قَبْلَ فَوَاتِ

•
مِنْ كَانَ نَصْفُ رَغِيفٍ فِي الْحَيَاةِ لَهُ
وَمَسْكِنٌ فِيهِ مَثْوَاهُ وَرَاحَتُهُ

لم يغدو سيداً شخصاً أو غلاماً فتى
فهنه فلقد راقت معيشته

•
تدرى لما اخترتُ الطلا؟ كي لا أرى،
يا صاح، مثلك مولعاً في ذاتي!

•
يا زبدةَ الخلآن، خذْ نصحي، ولا
تصبحْ من الدنيا بهم مزعج
واجلسْ بزاويةِ اعتزالك وانظرنْ
ألعابَ دهرك نظرة المترّج

•
من لم يجيئوا لهذا الدهر لو علموا
ماذا نكابد منه ما أتوا أبداً!

•
اشربْ على ضوءِ ذا البدر المنير فكم
يُضيءُ بعدهُ، ومننا لا يرى أحداً!

•
اغنمْ، قصيرَ العمر، في طرب، ولا
تحزنْ على أمس، ولا تخشَ العدا!

•
دعْ ذكرَ ما لم يجيءُ، أو ما أتى ومضى
والآن فاهناً فهذا خيرٌ مقصود

لا تُعنَ في مَا لم يرْدُ، وما مضى
واشرب لثلاً يذهبَ العُمرُ سدى

●
يومان ما عشتُ لا أُعنى بأمرهما
يومٌ تولّى، ويومٌ بعدُ لم يرْدُ

●
ليس الوجود، وعمرنا الفاني سوى
وهم وتضليل وحلم رقادِ

●
هي النفسُ من بحر بدت ثم انّها
تعيّب بذلك البحر، يا صاح، من بعدُ

●
ما أطيبَ السكرَ، والساقي ينالني
كأساً، وتعجز عن أخذِ الكؤوس يدي!

●
اشربْ فكم لك قد كررتْ مواعظي
إن رحتَ رحتَ ولم ترجعْ ولم تُعدِ!

●
انّ ديني هنا، ورشفُ الحمياً
وفراغي من كلّ دين وكفرٍ

يُوْمَانِ ذَا الْعُمَرُ الثَّمِينَ فَعَشْ
طَلَقَ الْحَيَا، بَاسِمَ الْغَرِّ

•

اَنْ تَكُنْ سَائِلاً اَوْ رَبّ تَاجَ
فَذَانِ غَدَّاً سِيْسِتُوْيَانَ قَدْرَا

•

قِيلَ: خَلَدٌ غَدَّاً، وَحُورٌ وَكُوثرٌ
أَنْهَرٌ مِنْ طَلَّاً وَشَهَدٌ وَسَكَرٌ
فَعَلَى ذِكْرِهَا أَدْرُ لَيْ كَأسَا
اَنَّ نَقْدَاً مِنْ أَلْفِ دِينِ لَأْجَدْرُ!

•

يَقُولُونَ: حُورٌ فِي الْغَدَةِ وَجَنَّةُ
وَثَمَّةُ أَنْهَارٌ مِنْ الشَّهَدِ وَالخَمْرِ
اِذَا اخْتَرْتُ حُورَاءَ هَنَا وَمَدَامَةً
فَمَا الْبَأْسُ فِي ذَا، وَهُوَ عَاقِبَةُ الْأَمْرِ؟

•

اَسْلَكْ سَبِيلَ بَنِي الْحَانَاتِ وَاسْعَ الِّ
رَاحِ وَعُودِ وَظَبِيِّ يَبْهِجِ النَّظَرا

إلهي، ومحري كل حي وميت
ورب السما ذات النجوم السواطع
لئن كنت ذا سوء فإنك سيدى
وما هو ذنبي، إن تكون أنت صانعى؟

•
أعيش، وما لي تحت ذا الأفق مبدأ
فلا مسلم مغض، ولا كافر صرف

•
إن كان عاقبة الوجود هي الفنا
فافرض فناك، وعش سعيدا بالا

•
أتريد معرفة الجحيم بكنهها؟
إن الجحيم لصحبة الجهال

•
أنا لست أقطر من خالق
رحيم لعبء ذنبي الجسام

•
سر الحياة لو انه ييلو لنا
لبدا لنا سر الممات المبهم
لم تعلم، وأنت حي، سرها
فغدا، اذا ما مت، ماذا تعلم؟

ان القضاء لأمر لا يُرَدّ وما
نصيب ذي الهم إلا السقم والألم
ان تقضه عمرك مهموم الفؤاد فلن
تزيد شيئا على ما خطه القلم

•
لي نقد ساقٍ وعُودٌ وروضٌ
ولك الوعُود في غِدٍ بالنعيم
دعْ حديث الجنان والنار، من جاءَ
من الخلدِ، أو ماضى للجحيم؟

•
لو غدا لي في السير أدنى اختيار
لم تجدني أدور كالحیران
أحسن من زهد الفتى عن رِيَا
رشفُ الحمّى، واقتفاء الحسان
إن كان أهلُ الحب والراح في
لظى فلن تلقى امرئاً في الجنان

•
أنا لم أطِعك، إلهي، في الحياة ولم
اطهّر النفس من أدران عصيان
فليست النفس من جدواك قانطة
اذ لم أقلْ قطُّ انَّ الواحدَ اثنان

كم في المدارس والصومع أنفس
ترجو الجنانا وتحشى النيرانا
لكن من عرف الإله وسره
لم يشغلن بذى الأمور جنانا

•
لا تؤمل ما فوق ستين حولا
لك عمرا، ولازم السكر واهنا

•
زمن الوردي ذا، وضفة نهر
ورياض وبضع حوري حسان

•
قد كان يدري الله كل فعالنا
من يوم صور طينا وبرانا
لم نرتكب ذنبا بدون قضائه
فاذأ لماذا ندخل النيرانا؟

•
ما كان أسعدي لو لم أجئ أبدا
للدهر يوما، ولم أرحل، ولم أكن!

•
الهم ليس بزائد أو منقص
في الرزق فاللزم المسرة واهنا

بلغتُ سبعين حولاً كاملاً فمتي
ألقى ال�ناء اذا لم القه الآنا؟

ما يصنع العفو بلا مائمه
العفو يزدان بآثاما

حِتَّام صومُك والصلة تنسّكا
فدع المساجد واقصدنَ الحانا!

أتمتني ديوان شعر ونصفاً
من رغيفٍ، وكوز صهباء حانٌ
وجلوساً مع الحبيب بقفر
ذاك خيراً من ملك ذي سلطان

أَسْفَاً لِقَلْبِي لِيْس يَذْكِيهُ الْهُوَى
شغفاً، وَلِيْس يَهِيم قطّ بشادنِ

سعادة الخيّام

شكّ الخيّام في خلود النفس وجزائها، وهاله قصر العمر
وهمومه، فهرع الى متعات دانية، الى حمرة يشربها، وامرأة
يعشقها، والى ظلّ روض، وأنغام عود.

انّها سعادة محدودة، مقتصرة على لذّات جسدية، والخيّام
نفسه ما روتة، او ساوت شقاعة، او حالت دون إيثاره العدم على
الوجود!

تشاؤم لا يقرّه عقل، وانفلات لا يقرّه خلق!

للمزيد من مطالعاتي و دروسني ان شئت اضغط هنا
أو ان شئت احصل على مكتبة معاصرة و معاصرة
مكتبة الموسوعة الفاسقية و المخطوطة على الموقع



ليبنتز

سعادة ابن سينا ولি�بنتز
أحسن سعادة ممكنة!



ابن سينا

فيلسوفان متفايلان، عربيًّا وأوروبيًّا، ابن سينا وليبنتز، اعتقدا أنَّ هذا العالم أحسن عالم ممكِن، ومثله سعادتنا، وهذا جمعناهما معاً على الرغم من تباعد الزمان والمكان، نعرضهما على التوالي مذهبًا ونصوصاً:

١- ابن سينا (٩٨٠-٣٧٠ هـ = ١٠٣٦-٢٨٠ م)

تصدَّى ابن سينا، في إلهيَّات الشفاء، لموضوع العالم، لما دعاه العناية وضع الشر، وأبرز ما قال:

أ- عنابة الله: عنابة الله لا تعني أنَّه خلق ما خلق لأجل البشر، أو لداعٍ أو إيثار: ما خلق الله لغاية وإلاًّ لكان معلولاً لها، وهو علة أولى.

وتعني عنابة الله أنَّ ما صدر عنه هو خير وكمال بحسب الإمكان، فهذا العالم أحسن عالم ممكِن.

ب- وجود الشر في العالم: هذا العالم أحسن عالم ممكِن، أمَّا ما نجده فيه من شر فهو:

١- محصور على عالم ما تحت القمر، على أرضنا، والأرض جزء يسير بالنسبة إلى العالم.

٢- يصيب الأشخاص، وفي بعض الأوقات، أمَّا الأنواع فمحفوظة.

٣- أقلَّ من الخير، وإن يكن كثيراً، وما من كائن يغلب شرُّه على خيره، أو يساويه.

٤ - مقصود بالعرض لا بالذات: المقصود بالذات من الإحرق في النار، مثلاً، هو الخير. أما بالعرض فُتُحْرِق عضو ناسك أو رداء شريف.

ولا يمكن أن يُعدَم الشرّ بالعرض الا اذا عدم ما يصدر عنه، فعدم خيره الأكثـر، وهذا شرّ أكبر: ليس من الحكمة الإلهية أن تتركـ الخـيرـات الدـائـمة والأـكـثـرـية لأـجـلـ شـرـورـ فيـ أمـورـ شـخـصـيـةـ غـيرـ دائـمةـ.

ج - سعادتنا أفضل سعادة:

وإذا كان هذا العالم أحسن عالم ممكن،

وخيره أكثر خير ممكن،

وشره أقل شر ممكن، وأقل من الخير،

فسعادتنا أفضل سعادة ممكنة.

انـهاـ سـعادـةـ نـاقـصـةـ آـنـماـ وـجـودـهاـ خـيرـ منـ عـدـمـهاـ،ـ وـعـنـيـاـةـ اللـهـ خـلـقـتـ ماـ هـوـ أـفـضـلـ لـنـاـ.

وننقل لك بعض ما جاء في الفصل السادس من إلهيات

الشفاء:

في العناية وكيفية دخول الشرّ في القضاء الإلهي

وخليق بنا... أن نتحقق القول في العناية، ولا شك أنه قد اتضح لك مما سلف منا بيانه أن العلل العالية لا يجوز أن تعمل ما تفعل لأجلنا، أو تكون بالجملة يهمها شيء، ويدعوها داع، ويعرض لها إيشار. ولا لك سبيل الى أن تنكر الآثار العجيبة في

تكون العالم، وأجزاء السموات، وأجزاء الحيوان والنبات مما لا يصدر اتفاقاً، بل يقتضي تدبيراً ما، فيجب أن يعلم أن العناية هي كون الأول عالماً بما عليه الوجود في نظام الخير، وعلة لذاته، للخير والكمال بحسب الإمكان، وراضياً به على النحو المذكور، فيعقل نظام الخير على الوجه الأبلغ في الإمكان، فيفيض عنه ما يعقله نظاماً وخيراً على الوجه الأبلغ الذي يعقله، فيضاناً على أتم تأدبة إلى النظام، بحسب الإمكان. فهذا هو معنى العناية.

الشرّ محدود

جميع سبب الشرّ إنّما يوجد في ما تحت فلك القمر، وجملة ما تحت فلك القمر طفيف بالنسبة إلى سائر الوجود.
ثمّ الشرّ يصيب أشخاصاً وفي أوقات، والأنواع محفوظة.
وليس الشرّ الحقيقيّ يعمّ أكثر الأشخاص...

والشرّ في أشخاص الموجودات قليل، ومع ذلك فإنّ وجود الشرّ في الأشياء ضرورةٌ تابعةٌ للحاجة إلى الخير... فوجب ضرورةً أن يكون الخير المكن في هذه الأشياء إنّما يكون خيراً بعد أن يمكن وقوع الشرّ عنه، ومعه، فإذا ضلّ الخير لا توجب أن يُترك الخير الغالب لشيء يندر، فيكون تركه شرّاً من ذلك الشرّ...، وهذا يؤشر العاقل الاحتراق بالنار بشرط أن يسلم منها حيّاً على الموت بلا ألم...

خير الشرّين

وإن قال قائل: قد كان جائزًا أن يوجد المدبرُ الأول خيراً محضاً مُبِراً عن الشرّ فنقول:

هذا لم يكن جائزًا في مثل هذا النمط من الوجود، وإن كان جائزًا في الوجود المطلق على أنه ضرب من الوجود المطلق مبرًّا - لا هذا الضرب - وذلك مما قد فاض عن المدبر الأول، ووُجد في الأمور العقلية والنفسيّة والسماويّة. وبقي هذا النمط في الإمكان، ولم يكن ترك إيجاده لأجل ما قد يخالطه من الشرّ، الذي اذا لم يكن مبدؤه موجوداً اصلاً، وترك لثلاً يكون هذا الشرّ، كان ذلك شرّاً من أن يكون هو، فكونه خيرُ الشرّين... الخير مقتضى بالذات، والشرّ مقتضى بعرض، وكلُّ بقدر...

ان الأمور في الوهم:

إما أمور، اذا تُوهمت موجودة، يمتنع أن تكون الا شرّاً على الإطلاق،
وإما أمور وجودُها أن يكون خيراً، ويمتنع أن تكون شرّاً
وناقصة،

وإما أمور تغلب فيها الخيرية، اذا وجدت وجودَها، ولا يمكن
غير ذلك بطبعها،
وإما أمور تغلب فيها الشرّية،
وإما أمور متساوية الحالين.

فاما ما لا شرّية فيه فقد وجد في الطياع.
واما ما كلّه شرّ، او الغالب، او المساوي أيضاً، فلم يوجد.
واما الذي الغالب في وجوده الخير فالآخرى به أن يوجد، اذا
كان الأغلب فيه أنه خير.

الشرّ أقلّ

فإن قال قائل: "ليس الشرّ شيئاً نادراً، أو أقلّا، بل هو أكثرّيّ"، فليست هو كذلك، بل الشرّ كثير، وليس بأكثرّيّ، وفرق بين الكثير والأكثرّيّ، فإنّ ههنا أموراً كثيرة هي كثيرة، وليس بأكثرّيّة، كالأمراض فإنّها كثيرة، وليس بأكثرّيّة.

فإذا تأمّلت هذا الصنف، الذي نحن في ذكره، من الشرّ، وجدتَه أقلّ من الخير الذي يقابلـه.

٤ - ليبنتز (١٦٤٦-١٧١٦)

يردّد ليبنتز أكثر ما جاء لدى ابن سينا في نظرته إلى العالم، والى وجود الشرّ فيه.

لقد رأى كابن سينا أنّ هذا العالم أحسن عالم ممكن: "كلُّ شيء أحسن في أحسن العالم" وحجّته: الله تام، قادرٌ كلَّ القدرة، حكيمٌ كلَّ الحكمة، ولذا خلق أحسنَ عالم ممكن.

أما الشرّ في العالم:

١- فيمكن أن يصحّبه، أو يتبعـه، خيرٌ أكبر: ألا يؤثر قائد الجيش نصراً كبيراً، وإن جرّح جرحاً خفيفاً؟ ألم تسبّب خطيئة آدم السعيدة بخسـد الله في يسـوع، وما حمل إلى الناس من خير؟

٢- وضـدُّ يُظـهرُ حسـنَ ضـلـة: الفـرح أـكـبر بـعـد الـأـلـم، وـالـلـوـحةـ أـجـمـل بـظـلـالـهـاـ.

٣- فهو دونـ الخـيرـ فـيـ الـعـالـمـ، فـيـ عـالـمـ الـانـسـانـ نـفـسـهـ.

وإليك بعض ما جاء في (إلهيات) ليبنتر:

العالم أحسن عالم ممكن

علينا أن نبحث عن سبب وجود العالم... لأنّ هذا العالم الموجود ممكن الوجود، وثمة عوالم أخرى لا نهاية لعددها قابلة للوجود مثله...، فعلى علة العالم أن يكون على صلة بكلّ هذه العوالم ليعين واحداً منها...

وتعين ممكِّن دون سواه لا يمكن أن يكون سوى فعل ارادة تختاره...

الوجود شأن القدرة، والحقّ شأن الحكمة أو العقل، والخير شأن الإرادة.

وعلى تلك العلة العاقلة أن تكون لا متناهية بكلّ ما فيها، تامة كلّ التمام قدرة، وحكمة، وجوداً، لأنّها تتجه إلى كلّ الممكّنات.

وكلّ المخلوقات متماسكة فلا مجال لأن تختار علتها أكثر من واحد...

وحكمة هذه العلة السامية، وما يقترن بها من جود يضارعها في الكمال، عاجزة عن اختيار ما دون الأحسن. أهون الشرّين نوع من الخير، وخير أقلّ نوع من الشرّ...

يجب تصحيح نقص في أفعال الله، إن كان ممكناً فعل ما هو أحسن...، فعلى الله إذاً أن يكون صنع الأحسن...

ربَّ خصمٍ يقول: كان يمكن أن يكون العالم خلوا من الخطيئة، ومن الآلام. أنكرَ أنه كان صار أحسن، فكلَّ شيءٍ متراوطٌ في كلِّ عالمٍ من العوالم الممكنة. والله قد نظمَ كلَّ شيءٍ تنظيمًا واحداً، سبق فرأى الصلوات، والأفعال الحسنة والسيئة، وكلَّ ما سوى ذلك... فلا يمكن تغيير شيءٍ في الكون... إن يغيب أقلَّ شرٍ في العالم... لن يبقى أحسنَ عالمٍ اختاره الخالق.

أجل، يمكن تخيل عوالم ممكنة، حالية من الخطيئة والشقاء...، ولكنَّ هذه العوالم نفسها، لو وُجِدت، لكانَت دون عالمنا حسناً...، والدليل اختيار الله لهذا العالم كما هو.

ونحن نعلم أيضاً أنَّ شرًا ما يسبب غالباً خيراً ما كان يمكن الحصوله دون ذلك الشر، بل حدث غير مرَّة صدور خير كبير عن شرٍ... ألسنا نرتلُ، في الكنيسة اللاتينية، في عيد الفصح: يا خطيئة آدم السعيدة (Felix Culpa)، التي استحقّت لنا مخلصاً؟!

وربَّ قائلٍ يقول: الشرور كثيرة، عديدة، بالنسبة إلى الخيور. انه يخطئ...! لو كنَا عادةً مرضى، ونادرًاً أصحاء، لكنَّا نقدرُ كلَّ التقدير وضعنَا الحسن، ونشرع أقلَّ بما يحدث لنا من شر. أليس أفضل أن تكون الصحةً وضعنَا العادي، والمرض نادرًا؟

اعتراضان وردان

اعتراض: لم يخلق الله أحسن عالم فالقدرة تنقصه، أو المعرفة، أو الجود.

ولم يخلق الله أحسن عالم لأنَّه خلق فيه الشر، أو لم يحجم عن خلق مثله.

ردّ: أَجْلٌ فِي الْعَالَمِ شَرّ، وَكَانَ اللَّهُ قَادِرًا أَنْ يَخْلُقَ عَالَمًا لَا شَرْ فِيهِ أَوْ يُحْجِمَ عَنِ الْخَلْقِ.

ولكن يمكن أن يصحب الشرّ خيرًا أكبر: يؤثر قائداً جيشاً نصراً كبيراً، وإن جُرح جرحاً خفيفاً، على أن يفوته النصر والمرحُ معاً.

أنّ نقصاً في الجزء يمكن أن يكون مطلوباً من أجل كمال أكبر في الكلّ. يقول القديس أوغسطينوس إنّ اللَّه سمح بالشرّ ليستخرج منه خيراً، أي خيراً أكبر. ويقول توما الأكويني إنّ غاية السماح بالشرّ خيرُ الكون. خطيئة آدم أدّت إلى تجسسَ ابن اللَّه، الذي أعطى الكون ما هو أسمى من كلّ ما يمكن وجوده في المخلوقات، دون ذلك التجسس...

ويكفي للقضاء على الاعتراض أن نظهر أنّ العالم، والشرّ فيه، يمكن أن يكون أفضل من عالم لا شرّ فيه.

اعتراض: في الخلائق العاقلة يربو الشرّ على الخير ففي ما خلق اللَّه يربو الشرّ على الخير.

ردّ: غير صحيح ما جاء في الاعتراض، فقد يكون ما في المخلوقات غير العاقلة من خير يربو على ما في المخلوقات العاقلة من شرّ.

أضفْ إلى ذلك إنّ الشرّ لا يربو على الخير حتى في المخلوقات العاقلة، فقد يفوق كمالُ الابرار وسعادتهم نقص الأشرار وتعاستهم.

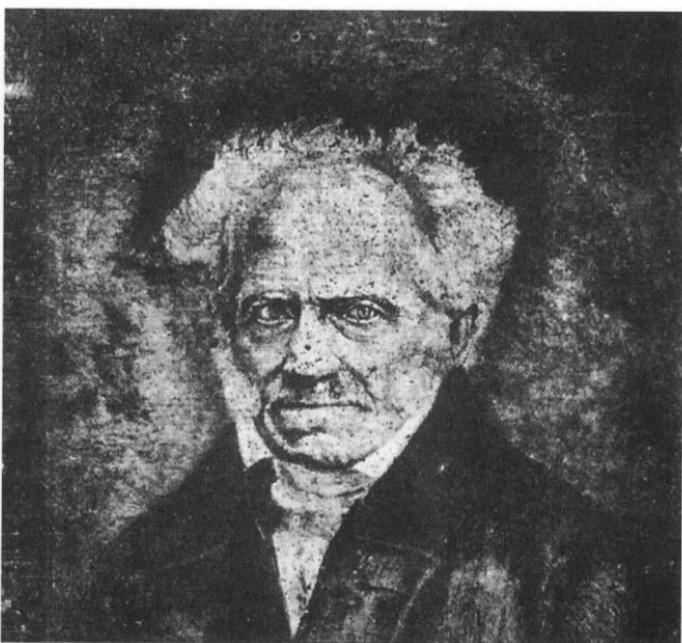
سعادة ابن سينا ولبينتز

انطلق هذان الفيلسوفان من الله، علّة هذا العالم، ليقولا انّ العالم المعلوم أحسن عالم ممكّن، وانّ سعادة الانسان بالتالي أحسن سعادة ممكّنة.

احسن عالم ممكّن لا يعني انه تامّ، خال من كلّ نقص،
واحسن سعادة ممكّنة لا تعني أنها تامة، حالية من كلّ شقاء.
تظلّ هذه النّظرة، وان تسلّم بصحّتها، ناقصة، لا تحدّد:

١ - أنواع السعادات ٢ - مستوياتها ٣ - دور الانسان في بلوغها.
انّها سعادة نظرية، غامضة، تُعلّل بها، ولا ندرّي كيف
نحققها، فيسعى قادر، ويُهمّل كسول، ويقتصر عاجز !

**سعادة شوبنهاور
غياب الألم والضجر**



شو بنهور

مکتبہ مذہبیہ
بصیرت احمد آباد

شوبنهاور (١٧٨٨ - ١٨٦٠) فيلسوف ألماني متشارّئ.
وتنبّئ مذهبَه في كتابِه:

أ- العالم كإرادة وكتصور

نصيب الإنسان من السعادة في هذا العالم يختلف، ويتفاوت،
حسبما ننظر إلى العالم كإرادة، أو كتصور:

أ- فالعالم كإرادة عذاب وضجر تخللهما سعادة عابرة،
وإليك الدليل:

١- إرادة الحياة البقاء: الإرادة والحياة تربان فحيثما تكون
الإرادة تكون الحياة، وحيثما تكون الحياة تكون الإرادة.

والحياة تريد البقاء، الاستمرار، واستمرارها استمرار النوع،
وما الأفراد سوى نسخات تعاقب، تولد وتموت، وسائل بقاء.

٢- والبقاء شقاء: إن للإنسان رغبات، للحياة كي تبقى
رغبات، والرغبة، ما دامت رغبة، عذاب.

وتحقق الرغبة، تتحقق رغبات، فيفرح الراغب، يشعر بنوع
من السعادة.

ولكنّها سعادة لا تدوم، فالرغبات لا تنتهي، وما تحقق منها لا
يلبث أن يُصبح واقعاً عادياً، سبباً لشعور بالفراغ، فالضجر.

يتعدّد الإنسان، اذ يرغب، ويتعدّب، اذ يضجر، وما سعادته
سوى واقع عابر، الموت في نهاية المطاف^(١).

(١) ويکاد جيران يردّد ما يقول شوبنهاور، اذ نقرأ في أحد مواكبـه:

٣- والعدم خير من الوجود: فإذا كانت هذه هي الحياة، وإرادة الحياة، فخير للإنسان زواها، يختلف العدم الوجود، والراحة العذاب، وما من عاقل يروم معاودة حياته.

بـ- العالم كتصور: العالم كإرادة شقاء، والعدم خير منه. ويختلف الوضع، إذا ما نظرنا إليه كموضوع تصوّر نعرفه بالعقل، ونخبره بالحسن، بحرّده من كلّ إرادة فيصبح سبب لذلة وسعادة.

يسع الحكيم أن يخفّف من شقاء الحياة، وينعم ببعض السعادة، إذا ما تحرّر من الإرادة، وسعى إلى الحق والجمال والخير. يعمل العقل فيبحث عن الحق، ويجد في التفكّر والتأمل راحته وهناءه.

ويُقبل الإنسان على الفنّ، يتذوق الشعر، والموسيقى، والرسم، والنحت، وحدائق الزهور.

ويشفق على الإنسان، هذا الإنسان المظلوم المعذّب، يخفّف عنه ما استطاع واقع عذابه المرير.

جـ- ولكنّ الإرادة أقوى: العالم كتصوّر مجال سعادة فكريّة، وفنية، وشفقة، ولكنّ إرادة الحياة أقوى، والتعasseة أغلب، وزوالنا خير لنا.

وما السعادة في الدنيا سوى شيء
يُرجح، فإن صار جسما ملئ البشرُ...
لم يسع الناسُ إلا في تشوقهم
إلى المنبع فان صاروا به فتوا...
ليس في الغاب رجاء لا، ولا فيه الملل...
إنما العيش رجاء إحدى هاتيك العلل!

ونقل لك من كتاب شوبنهاور (العالم كإرادة وكتصور) نصوصاً محدودة تؤيد ما عرضناه في الموجز السابق:

١

ما تريده الإرادة هو دائماً الحياة... فحيثما تكون الإرادة تكون الحياة.

٢

من طبيعة الإرادة ظهورها في الأفراد، والأفراد ظواهر عابرة، خاضعة بأسكالها لقانون الزمان، تولد وتموت...

الولادة والموت عَرَضان من أعراض الحياة متكافآن، متساويان... وُيُطْلِع أحدهما الآخر...

ما الفرد، في نظر إرادة الحياة، سوى أحد مظاهرها، نموذج أو نسخة، فإذا ما مات فرد لا تشتدّ وطأة المرض على الطبيعة ككل، ولا على الإرادة.

الطبيعة لا تسهر كلَّ سهرها على الفرد، بل على النوع وحده، فهو وحده يعنيها، وعلى استمراره تحرض.

٣

إذا ما حال حائل دون الإرادة ومتغهاها كان الألم. وإذا ما حُقِّقَ المبتغي كان الرضى، والهناء، والسعادة...

كلَّ شهوة وليدة نقص، وليدة حالة لا تُرضينا، فهي ما دامت قائمة ألم.

وارتواء الشهوة لا يدوم فهو منطلق الى شهوة جديدة.
الشهوة، حيثما وجدت، لا تُروى، تُحرَّم، فهي دائماً في حالة
ألم. لا نهاية للجهد، فلا اعتدال ولا نهاية للألم.

٤

تفاقم التعasse على قدر ما تتّضح المعرفة، ويرقى الوعي، إنها
تبلغ لدى الإنسان ذروتها، وتکبر على قدر ما ينعم الفرد بنظرية
أوضح، وذكاء أرقى: العقريّ أتعس الناس.

٥

في طبيعة كل إرادة حاجة، نقص، وبالتالي ألم، فالإنسان
طبيعيّاً، وضروريّاً، فريسة الألم.

أمّا اذا لم تشعر الإرادة بحرمان، أو اذا حصلت على ما
ينقصها، ولم يبق لها ما تشتهيه، فإنّها تجد نفسها في فراغ هائل، في
الضجر، وتصبح طبيعتها وجودها عبئاً لا يُطاق، فالحياة اذا
تمتّايل، كرّقاص الساعة، من اليمين الى اليسار، من الألم الى
الضجر ...

ومن هذا الواقع الى هذا الأمر الغريب: وضع الناسُ كلَّ ألم،
وكلَّ عذاب، في الجحيم، فما وجدوا ما يملأون به السماء سوى
الضجر ...

وضع الإنسانُ على الأرض مُهملًا، غير واثق من أي شيء
 سوى من حاجاته، وعبوديّته: عنایته باستمرار وجوده، على ما
تتطلّب من مقوّمات صعبه المنال، متتجدّدة كلَّ يوم، تكفي عادة
ملء حياة انسان.

أضف حاجةً أخرى تابعة للأولى هي استمرار النوع البشري،
فمن كلّ جهة، وفي الوقت ذاته، تحفَّ بالانسان أحطّارٌ متنوعة لا
تحصى، وهو لا ينجو منها الاّ بحدّر متصل. انه يتبع طريقه بخطى
حدرة، ونظر قلق، متلفتا في كلّ اتجاه، فألفُ مفاجأة تترصدّه،
وألفُ عدوٍ!

ليست الحياة بالنسبة الى سواد الناس سوى معركة متصلة من
أجل البقاء نفسه، مع العلم اليقين انّ الهزيمة هي النهاية.

والداعي الى معاناة هذا النضال المؤلم ليس حبّ الحياة قدر ما
هو الخوف من الموت المختبي هنا، في مكانٍ ما، المستعد للظهور في
أيّ لحظة...

كلّ الحياة الانسانية تنقضي ما بين الشهوات وتحقيقها.
الشهوة بطبيعتها ألم، وتحقيقها لا يلبث ان ينقلب الى ارتواء،
فالهدف كان وهماً، والحصول عليه أفقده متعته. الشهوة تتحذّذ
شكلاً جديداً، ومعها الحاجة، وإلاّ كان القرف، والفراغ،
والضجر، وكلّهم أعداء أقسى من الحاجة.

اذا ما تعاقبت الحاجة وقضاؤها تعاقباً معتدلاً، لا طويلاً ولا
قصيراً، هبط الألم، نتيجةُ الاثنين، الى أخفّه، وكانت أسعد حياة.

وفي الحياة أوقات قد ندعوها أجمل أوقات الحياة، وأفراح قد
ندعوها أصفى الأفراح، تخرج بنا من العالم الحقيقيّ، وتحولنا الى
متفرّجين على هذا العالم، خالين من أيّ غرض، انّها أوقات المعرفة
الخالصة، المحرّدة من كلّ رغبة، التمتع بالجمال، اللذّة الحقّ.

على أننا لا نفرح هذه الأفراح إلاّ إذا نعمنا ببطاقات نادرة،
 فهي شأن قلة، وتمرّ مع ذاك مرور الحلم. هذه الأفراح من نصيب
 عقل متّفّق دون سواه...

ولكن مهما تفعل الطبيعة، والسعادة نفسها، وأيّاً يكنِ
 الإنسان وما يملّكه، فالآلم طبيعة كلّ حياة، ولا ينجو منه أحد.

٦

ما أُلُّ ما ينفقه الإنسان من جهد متواصل ليطرد الألم تغييرُ
 مظاهره: إنّه في الأساس حرمان، حاجة، همُ الحفاظ على الحياة:
 فإن تنجح، وتطرد هذا النوع من الألم، عاد بألف نوع آخر،
 تبدل مع العمر، والظروف، عاد شهوةً جسديةً، أو حبًّا عاشق،
 أو حسداً، أو بغضها، أو قلقاً، أو طموحاً، أو بخلاً، أو مرضًا...
 وإن يُحقق الألم فلم يجد مظاهرًا يتذكر به، اتّخذ مظهاً كثيّراً،
 حزيناً، مظهراً القرف والضجر!

٧

الآلم ملازم للحياة، والطبيعة حدّدت درجته بالنسبة إلى حيٍّ
 حيٍّ، فتغيّراته المفاجئة سطحية، ولا شيء يتغيّر في العمق.
 التمادي في الحزن والفرح يقوم على ضلال، على وهم...
 ويجب بالتالي الإحجام عن هذين النوعين من التطرف...
 كلُّ توهّم من هذا النوع ذروة، وعلى صاحبه الهبوط منها،
 وشبح ستيوارى، ولن يفعل سوى أن يسبّب لنا همّاً تفوق مراتته
 فرحتنا السابق. هي طبيعة كلّ علوٍ لا يمكن العودة منه سوى

بالسقوط، فيجب الهرب منه. وما الألّم المفاجئ الفادح سوى هذا السقوط، زوال ذلك الشبح.

٨

السعادة... واقع سلبيّ، لا إيجابيّ فيه... إنها إشباع رغبة. الرغبة حرمان، شرطٌ كلّ متعة لاحقة، فإن أُشبِعت توقفت وتوقفت المتعة.

ليس إشباع الرغبة والرضى سوى نجاة من الألّم، من الحاجة... فالحاجة ألم!...

كلّ سعادة سلبية، لا إيجابيّ فيها. لا استمرار لرضى، أو قناعة، فما هذان في الحقيقة سوى توقف ألم، أو نهاية حرمان...، ويليهما حتما همّ جديد...، انتظار دون موضوع، ضجر!

٩

الشّعر، الذي يصف جمال الطبيعة، ويقتصر على هذا النوع من المعرفة الحالصة، الحالية من كلّ إرادة، هو في الحقيقة السعادة الحقّ الواحدة، لأنّها ليست سعادة سبقها الألّم وال الحاجة، ويعقبها الأسف والألم وفراغ النفس والقرف، بل السعادة الواحدة القادرة على أن تملأ الحياة كُلُّها، أو على الأقلّ بعض هنيهات منها.

وما نراه في الشّعر بخده في الموسيقى: النغم يقدم لنا ما يشبه تارينخا داخليّا، تاريخ إرادة وعت أسرار الحياة، والشهوة، والألم، والفرح، مدّ القلب البشريّ وجذره... .

انما لا تُطل هذا النغم، إن تُطّله يكن الرتوب المتعب الفارغ،
يكنِ الضجر!
ما من هناء ممكِن ب دائم!....

١٠

ما حياة كُلٌّ منّا إن ننظرُ اليها نظرةً عابرةً، مكتفين بالخطوط
البارزة، سوى مأساة حقيقةٍ. وإن نتطرق إلى التفاصيل تَخْذُ
منحي ملهاةً.

لكلّ يوم شغله وهمّه. لـكـلـ هـنيـهـةـ خـدـاعـهـاـ الجـديـدـ. لـكـلـ
اسبوع رغبته وخوفه. لـكـلـ ساعـةـ خـيـةـ أـمـلـهـاـ. الـاتـفـاقـ دـائـمـاـ حـاضـرـ
ليقوم بعملٍ ما خبيث. لـمـاـشـاهـدـ مـلـهـاـ كـلـ ذـلـكـ!

ما من شهوة تستجاب، وكلّ جهدٍ يُنفق باطل، والقدر الذي
لا يرحم بحطم الآمال، والأوهام القاسية نسيج الحياة، والألم في
تعاظم، ونهاية كـلـ ذـلـكـ الموت! يكفي كـلـ ذـاكـ لكتابة مأساة!

١١

يكفي أن تجوز أحلام الشباب، وتقيم وزناً للاختبار،
لاختبارك واختبار الآخرين، وتعرف نفسك معرفةً أفضل انطلاقاً
من سيرتك، أو من تاريخ الغابر والحاضر، ومن مطالعة الشعراء
الكبار، ومن تحرير أحلامك من الأوهام الموروثة، يكفيك كـلـ
ذلك حتّى توجز الأمور هـكـذا:

عالم الإنسان عالم الاتفاق والضلال، اللذين يدبّران الأشياء،
كبيرها وصغيرها، دون ما شفقة. وبجوارهما تسير الحماقة والخبث،
وبيدهما السوط.

وترى أنَّ انحصار أيٌّ شيءٍ حسنٌ شاقٌّ، وأنَّ ظهور ما هو نبيلٌ وحكيمٌ نادر، عسيرٌ التحقيق، وعسيرٌ إطلاع الناس عليه. بل ترى سائداً ما هو سخيف، وأحق في مجال الفكر، وما هو مبتذلٌ عديم الذوق في مجال الفن، وما هو شرٌّ ومكرٌ في باب السلوك... .

الجيد من كلّ نوع حالة شاذة، وحيدة، ضائعة وسط ملايين غيرها... .

وفي الحقيقة قد لا تجد انساناً واحداً رزيناً صادقاً يشتهي، في نهاية حياته، معاودتها، ولا يؤثر كلّ الإشار العدم المطلق!

١٢

إن يضعوا أمام عيوننا الآلام، والعذابات الهائلة، التي تعرضنا لها الحياة، يدبّ فيها الذعر.

خذْ أكثر الناس تفاؤلاً، وتحول به في المستشفيات، والمحاجر الصحية، وقاعات الجراحية حيث يُعذَّب الناس عذاب الشهداء، وفي غرف التعذيب، ومحطّات العبيد، وفي ساحات المعارك، وأماكن الإعدام... يرَ حينئذٍ أحسن عوالم الممكنة!^(١)

١٣

لا يسعني كتم رأيي: التفاؤل، عندما لا يكون ثرثرة جوفاء...، رأي كفرة، سخرية مقنقة إزاء ما نرى من آلامٍ بشريةٍ يعجز عن وصفها اللسان.

(١) إشارة إلى ليبيتز القائل: إنَّ هذا العالم أحسن عالم ممكن.

ولا يجوز الاعتقاد ان الإيمان المسيحي موافق على التفاؤل، بل العكس هو الصحيح، ففي الإنحصار العالم والشر أشبه بمترادفين!

١٤

علينا أن ننظر إلى الموت، دون أيّ ريب، على أنه هدف الحياة الحقيقي. لدى حصوله يتقرر كلُّ ما لم يكن مجرى الحياة كله سوى إعدادٍ له ومقدمة.

الموت نتيجة الحياة، موجزٌ لها، أو المجموع المنجز، الذي يعبر، مرّة واحدة، عن كلِّ ما كانت الحياة تعلم بالتفصيل جزءاً جزءاً. آنه يعلّمنا أنَّ كلَّ رغبات الحياة كانت باطلة، فارغة، ملأى بالمتناقضات، وأنَّ الخلاص في العودة...

عقبات الحياة، وأماها الخائبة، ومحطّاتها المحبطة، وآلامها الثابتة، يهدمها الموت بضربة واحدة، يهدم كلَّ ما أراد الإنسان، ويتوّج هكذا كلَّ ما كانت تعلّمه إيهَا الحياة...

ولما كان العقل شرط هذه العودة إلى الوراء، وتوقع الموت الصريح، ولما كان هذان الحالان مقصوريَن على الإنسان دون الحيوان، فالإنسانُ وحده يجرع كأسَ الموت....، والإرادة البشرية وحدها قادرة على أن تتنكر لذاتها، وترذل الحياة.

وإذا لم تتنكّر الإرادة لذاتها فكلَّ ولادة تحمل عقلاً جديداً، مخالفًا للعقل السابقة، إلى أن تعرف طبيعة الحياة الحقّ، وترغب عنها.

كل إرادة تصدر عن رغبة، أي عن نقص، أي عن ألم.
قضاء الرغبة يضع حدًا لذلك الألم.

ولكن ان تقضِ رغبة تظلّ عشرَ على الأقل منوعة.

أضفْ إلى ذلك: الرغبة تطول، ومقتضياتها تتدَّى إلى ما لا
نهاية له، وقضاء الرغبة قصير، ويُكَالُ بالتقدير، وكلُّ ذاك الرضى
سطحى: إن تقضِ رغبة تخلُّفها حالاً رغبة أخرى... فما من نيل
مبغى يُحدث رضىً طويلاً ثابتاً.

أمّا اذا حدثت مناسبة خارجية، أو دافع داخليّ، وابتعدنا بنا
عن سيل الإرادة اللامتناهي، وحررّا المعرفة من عبوديتها، فإن
انتباهنا يتحول عن بواعث الإرادة، ويتصور الأشياء مستقلة عنها،
أي أنه ينظر إلى الإرادة نظرة مستقلة، موضوعية، لا شخصية...،
ونصبح سعداء كلّ السعادة... .

وهذه الحالة حالة التأمل الخالص... العالم، كتصور، يبقى
وحده، والعالم، كإرادة، يغيب... .

ان شرط اللذة الفنية... تحرير المعرفة من عبودية الإرادة،
نسياً الفرد نفسه، تحويلُ الوعي إلى عالمٍ خالص، متحررٍ من
الإرادة، ومن الزمان، ومن أيّ صلة!... .

قولك في شيء ما إنه جميل يعني أنه موضوع تأمّلنا الفني.
وهذا يعني أنّ منظر ذلك الشيء يجعل منا أشخاصاً موضوعين...،
عالِمين، خالين من الإرادة... .

هُبُكْ تتأمّل تأمّلاً جماليّاً في جمال الطبيعة، قائمةً في ذاتها
كانت أو في عمل فني...، فاللذة الغالبة لذة المعرفة الحالصة،
المستقلّة عن الإرادة.

١٧

الألم ملازم للحياة ملازمٌ طبيعية دائمة، وكلُّ رغبة ألمٌ صادر
عن حاجة، أو نقص. وتحقيق الرغبة ليس سعادة، بل نجاة من ألم.
والفرح كذبٌ على الرغبة، إيهامٌ بأنّه خير ايجابيّ، وما هو في
الحقيقة سوى شيء سلبيّ، سوى نهاية شرّ. وبالتالي ما الذي نفعله
نحن نحو الآخرين، ما يفعله رفقنا، وشفقتنا، وسخاؤنا؟ إنّا نسكن
آلامهم. وما الذي يحدونا على القيام بأعمال حسنة، بتسكن
آلامهم؟ إنّه اطّلاعنا على تلك الآلام...، وما حنّونا سوى شفقة!

ب - خواطر في حكمـة الحـيـاة

في الكتاب السابق، "العالم كإرادة وكتصور" رأى شوبنهاور
في العالم، كإرادة، مصدر عذاب وشقاء، و كتصور سبب لذة
وهناء.

أمّا في كتابه هذا، في "خواطر في حكمـة الحـيـاة"، فهو يتلوّحـى
هدايـتنا إلـى ما فـيه سـعادـتـنا، وهـي فـي ما نـحنـ، لا فـي مـا غـلـكـهـ، أو
يرـاهـ فـيـناـ النـاسـ.

ويتمادى شوبنهاور في الكلام على أوضاعنا الثلاثة (ما نحن،
وما نملك، وما يقدّره الناس فيـناـ)، ثمّ يتبع بحثـهـ:

١٢٨

١- بمحكم عامة.

٢- بسلوكنا في ما يخصّنا، وينصّ الآخرين، وبالنسبة إلى
مسيرة العالم، والحظ.

٣- باختلاف فصول الحياة الإنسانية.

لا يتسع هذا البحث للنطّرق إلى التفاصيل، فطالع الكتاب،
وقد لا تندم، أو أقمع بما نقله لك من شذرات:

أوضاع الإنسان

ثلاثة أوضاع الإنسان الأساسية:

١- ما هو... أي صحته، وقوته، وجماله، وطبعه، وخلقه،
وعقله، ونموّ هذا العقل.

٢- ما يملك، كل أنواع الممتلكات.

٣- ما يمثل... من شرف، ومكانة، وبجد...

الإنسان في ذاته

ما هو ذاتيّ أهمّ لسعادتنا من كلّ متعاتنا الخارجية، وهذا
ظاهر في كلّ شيء انطلاقاً من الجوع، وأفضل الطهاة...
الصحة أهمّ من كلّ الخيرات الخارجية فمتسلّل متمنّع
بالصحة أسعد من ملك مريض.

إنّ طبعاً هادئاً رائقاً، ثرّة صحةً تامةً، وتنظيم حسن، وعقلاءً
واضحاً، ذكيّاً، نافذاً، سديداً، وإرادةً متأنيّة، سهلة القرار، حصيلةً
ضمير قويّ، لمكاسبٍ لا يُغّيّ عنها أيُّ مقام، أو أيّ غنى.

ما هو الانسان في ذاته، ورفيقه في وحده، ما يعجز أي انسان أن يمنحه إياها، أو يتزعزعه منه، لأهمه، دون ريب، من كلّ ما يسعه ملكه، أو يكون في نظر الناس.

يجد الوحد المفكّر في أفكاره الشخصية، وفي تخيلاته، ما يتلهّى به وينعم، ويعجز الكائن الحدود عن التملص من عذاب الضجر، مهما نوع الأعياد، والمشاهد المسرحية، والتزهات، والملاهي.

الوحيد

يجني الانسان، المتفوق عقلياً، اذا ما لاذ بالوحدة، نوعين من النفع:

الأول خلوه بنفسه، والثاني بعده عمن سواه.

ونقدر كلّ التقدير بعده هذا، اذا ما فكرنا في كلّ ما ينطوي عليه التعاطي البشريّ من قهر وعناء، ومن مخاطر أيضاً...

قدرتنا على الاستغناء عن المجتمع سعادة كبيرة، لأنّ بلايانا تكاد تصدر كلّها عن المجتمع، وراحة البال، أهمّ عناصر سعادتنا. بعد الصحة، تصبح في خططنا.

رأي الآخرين

أهمّ ما يتطلّبه رغد العيش الصحة، ووسائلها الضروريّة، وبالتالي وجود خلو من الهموم.

الشرف، والتألق، والعظمة، والمجد، مهما أضفت عليهم من قدر، لعجزون عن منافسة تلك الخيرات الجوهرية، والاستعاضة بهم عنها.

فمن النافع اذاً كلَّ النفع أن نعرف، في الوقت المناسب، هذا الأمر البسيط، وهو أن نحياناً أولاً، وواقعنا، في حلتنا الخاصّ، لا في رأي الآخرين. انَّ واقعنا الشخصيّ، الطبيعيّ وال حقيقيّ، واقع الصحة، والطبع، والقوى العقلية، والرضى، والزوج، والأولاد، والبيت... لأهمُّ مئة مرّة بالنسبة الى سعادتنا مَا يحلو لسواناً أن يصنعوا منا... .

إن تهتفْ مباهياً: "الشرف أهمٌ من الحياة!" فأنت تقول، في الحقيقة، إنَّ الحياة والصحة لا شيء، وإنَّ المطلوب ما يُفكّر الناس فيها!

الحفظ على الثروة

يرى الدكتور جونسون رأيه، اذ يقول:
"المرأة الغنية، المعتادة على انفاق المال، تنفقه بدراءة.
أما المرأة، التي صارت فجأة غنية، بفضل زواجهما، فإنها تشعر بميل قويٍّ الى الانفاق، فتبذر المال تبذيراً. وأنا أنسح من تردد فتاة فقيرة ألاً يوصي لها برأسمال، بل بدخلٍ عاديٍّ، وأن يحرص كلَّ الحرص فلا يسلطها على ثروة أولاده."

ولستُ أفعل ما ليس حديراً بقلمي إنْ أوصي بالحفظ على الثروة مُحصّلةً كانت أو موروثة.

غياب الألم والضجر

حكمة الحياة في ما قال ارسطو...: "يبحث الحكيم عن النجاة من الألم، لا عن اللذة".

صحة هذه الحكمة تقوم على أن طبيعة كل لذة، وكل سعادة، سلبية، وإيجابية طبيعة الألم...

أسعد انسان من قضى حياته دون آلام فادحة، نفسية أو جسدية، لا الذي فرّح أفراحا حارة، او تمتع بمعنفات قوية...، لأن اللذات سلبية، وستظل هكذا...

وإذا ما أضيف الى حالة غاب عنها الألم غياب الضجر، حصلت أتم سعادة على الأرض، وكل ما سوى ذلك أوهام.

الحاضر

الحاضر وحده واقع، واقع لا ريب فيه.

أما المستقبل فقلّما يأتي كما نتوقعه، والماضي أتى أيضا مختلفا، ويصبح المستقبل والماضي أهون شأنًا مما يدوان لنا... والحاضر وحده حقيقة واقعية.

وهل من حماقة تحوز حماقة من يرغب عن ساعة حاضرة حيدة، أو يُفسِّدتها عمدا، يحدو به الى ذلك قلقٌ آتي، أو حزن مضى؟!

الوحدة حرية

ما من سبيل تبعينا عن السعادة قدر ما تُبعَدنا حياة العظماء، حياة الأعراس والولائم...، لأن السعي الى تحويل وجودنا الشقي أفراحا متعاقبة، ولذات ومتاعات، لا يخلو من الشعور بخيبة الأمل، عدا التكاذب الملازم لتلك التجمّعات...

لا يسعنا أن نكون ما نحن إلاّ إذا ثابرنا على وحدتنا، فمن لا يحبّ الوحدة، لا يحبّ الحرية. الوحدة وحده حرّ.

الاذعان للواقع

إذا ما حلّت بنا نكبة، واستحال علينا تلافيها، فلا نفكّرْ
كيف كان يمكن أن تحدث حدوثاً مخالفـاً، أو كيف كان يمكن
الخلاص منها، فإنـ مثل هذا التفكير يبلغ بـلـنا حـدـاً لا يـطـاقـ.

العمل

أصابـ اـرسـطـوـ، اـذـ قـالـ: الـحـيـاةـ حـرـكـةـ.

ليـسـ حـيـاتـنـاـ جـسـدـيـةـ سـوـىـ حـرـكـةـ مـتـواـصـلـةـ، وـبـهـاـ تـسـتـمـرـ،
وـتـتـطـلـبـ حـيـاتـنـاـ الدـاخـلـيـةـ عـقـلـيـةـ شـغـلـاـ دـائـمـاـ، أـيـ شـغـلـ، عـمـلـاـ أوـ
تـفـكـيـرـاـ...ـ

انـ إـحـجـامـاـ تـامـاـ عـنـ الـعـمـلـ يـؤـولـ بـنـاـ إـلـىـ حـالـ لـاـ تـحـتمـلـ،
وـيـؤـدـيـ إـلـىـ أـفـطـعـ ضـجـرـ!

شوبنهاور والسعادة

مواطن الضعف في تشاؤم شوبنهاور متعددة:

١- فالرغبة عادةً لا تعذّب، بل تدفع إلى العمل، والعمل
يُتعب، ولا يشقى. ولو لم تكن لدى الإنسان حاجات ورغبات، لما
كان جهد وعمل، وكان الفراغ والضجر، على ما يرى شوبنهاور
نفسه!

٢ - والعادة تضعف من فرحتنا بما تحققّ من رغبات، دون أو تؤدي إلى القرف، والضجر، والألم.

٣ - ويحدّ شوبنهاور من سعادة العالم كتصوّر، من دور الحقّ والخير والجمال في إسعاد الإنسان سعادة تنسى همّ رغبة، أو تعب تحصيل، أو ملل عادة.

٤ - ويشطّ شوبنهاور، بل ينافق نفسه، اذ يجعل من السعادة أمراً سلبياً، غياب الألم، فكم في الحياة من وقائع إيجابية تسبب لنا اللذة والفرح!

متشارئ شوبنهاور، ويعالي في تشاءمه، يغالي ويضلّ.

**سعادة نيتشه
تفوق وسيادة!**



نیتشہ

فکر و فلسفه

قرأً نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠) كتاب شوبنهاور (العالم كإرادة وكتصور) فأعجب به وتشاءم تشاوئ مؤلفه.
ولكنه تشاوئ لم يدم، بل تحول إلى تفاؤل نقىض عنيف، وهذه أبرز معالمه:

أ- الإرادة ارادة اقتدار: لا، ليست الإرادة إرادة حياة، إرادة بقاء النوع البشري، وسبب شقائه، كما علّم شوبنهاور، فالمعدوم لا يريد، وال موجود موجود.

الارادة إرادة اقتدار، إرادة مزيد من القدرة، فمزيد على مزيد، وذلك من أجل القيادة والسيادة.

ب- والتفوق هو السيد: كان تطور من الدودة إلى القرد، فمن القرد إلى الإنسان، والارادة تتبعي مزيداً من التطور، تتبعي وتعمل لكي تحقق الإنسان المتفوق.

المسافة ما بين المتفوق والانسان كالمسافة ما بين الانسان والقرد.

في الحجر تغفو منحوته غفو المتفوق في الانسان، وعلى كل نحّات، على كل مبدع كنيتشه، أن يهدم القيم القديمة، قيم العبيد، ويُقيم القيم الجديدة، قيم السادة، قيم الانسان المتفوق الآتي.

كل ما يؤدي إلى ظهور المتفوق مطلوب، الحقُّ والضلالُ، الخير والشرُّ، اللذة واللام، وكل ما يحول منبؤذ، وعلى الانسان أن يعمل ليظهر المتفوق.

ج- والسيد هو السعيد: المتفوق هدفُ التطور، والمتفوق هو القائد السيد، وهو السعيد.

د- والسعادة تعود مدي الأبد: ارادة الحياة، في نظر شوبنهاور، رغبات تسبب الألم، فخير لالانسان لو لم يوجد، وما من عاقل يبغي معاودة حياته.

ويناقض نيتشه شوبنهاور: أجل في الحياة آلام، ولكنّ الألم كاللذّة سبيل الانسان الى التفوّق فالسعادة، وعلى ارادته أن تحبّ الحياة،

تحبّ الضحك والرقص، النضال وال الحرب، القيادة والسيادة... والسعادة.

ويتمادى نيتشه في تفاؤله، يؤمن بعودة العالم، هذا العالم، كما هو، دون زيادة أو نقصان، يعود دورةً اثرَ دورة، ويعاود كلُّ انسان حياته السابقة.

الشقيّ يريد النهاية، نهايةه ونهاية شقائه، أمّا السعيد فيروم البقاء، يرضى عن عودته الى هذه الحياة، الى حياته نفسها بكلّ آلامها وهوانها، الى ما لا نهاية.

أنكر نيتشه وجود الله فأنكر سعادة أبدية في السماء، فاذا به يؤمن بسعادة تتراجع على الأرض، دورةً اثرَ دورة، مدي الأبد. استبدل أبدية الله بأبدية الأرض، وسعادةً تامةً متصلة بسعادة ناقصة متقطّعة.

ونقل لك نصوصاً تعبر عنّا تقدّم من أفكار، نقلها من رائعة نيتشه (كذا تكلّم زرادشت):

"... ورأيتُ حزنا عميقاً يعم الناس، وأفضلهم سهم أعماله.
هي عقيدة انتشرت، وتبعها الناس: كل شيء باطل، كل شيء زائل، كل الأشياء سواء. وردد الصدى من كل الروابي: كل شيء باطل، كل شيء زائل، كل الأشياء سواء.

قطفنا ثمارنا فلم أكمد لونها، وفسدت؟ ما الذي هبط الليلة
البارحة من القمر المؤذي؟

ذهبت جهودنا سدى، واستحال حمرنا سما، وأصابتنا العيون
فاشتعلت حقوقنا وقلوبنا، واحتقت.

جففنا جميعاً، وان تقع علينا النار نتطاير هباءً. النار نفسها
سُئمت منا.

كل ينابينا نضبت، والبحر أيضاً تراجع. البر ينهار، والبحر
يأبى ابتلاعنا، فأنى لنا بحر نفرق فيه؟ هذه شكوكانا على امتداد
المستنقعات.

الحق أنّ تعينا فاق الحدّ فحال دون موتنا، ولهذا ما زلنا ننهر،
ونعيش... في حودنا".

(كذا تكلم زرادشت: القسم الثاني)

(١) النبي هو شوبنهاور.

التحرير

قال زرادشت^(١) ... :

الحقُّ، أثِيَّا الأصدقاء، أني أُسِير ما بين الناس، وكأنني سائر
بين حطام، وأعضاء بشرية.

وأقطع ما تقع عيناي عليه محطم مبرد في ساحة حرب، أو
مسلسلخ.

ومهما عدتُ بالذاكرة من الحاضر الى الماضي لا أجد، أني
اتجهت، سوى أشلاء، وأعضاء مبتورة، ومفاجآت هائلة، ولا أحد
بشرًا.

لستُ اعرف، اصدقائي، ما هو أثقل من حاضر الأرض
وماضيها، وما كنت أطيق الحياة لو لم أكننبيًّا المستقبل.

وما زرادشت سوى النبي، والمريد، والمبدع، والمستقبل،
والجسر المؤدي الى هذا المستقبل، وذي العاهة أيضاً الواقع عند
مدخل الجسر.

وكم مرّة تسألكم: ما زرادشت بالنسبة إلينا؟ وما ندعوه؟
وتحببون كما أجيب، تطرحون اسئلة جديدة.

أهو الوعد أم من ينفذه، المغتصب أم الوارث، الخريف أم
سكة الحراث، الطبيب أم الناقة؟

أهو الشاعر أم الصادق، الحرر أم المستعبد، البار أم الشرير؟

(١) زرادشت هو نيشنه نفسه.

أُسِيرَ بَيْنَ النَّاسِ كَمَا بَيْنَ أَشْلَاءِ الْمُسْتَقْبَلِ، الَّذِي يَلْوَحُ لِي فِي
رُؤْيَايِي.

وَكُلُّ أَحَلَامِي وَجَهْوَدِي جَمِيعُ مَا هُوَ حَطَامٌ، وَأَلْغَازٌ، وَمَفَاجَاتٌ
هَائلَة، أَجْمَعَهُ وَأَوْلَفَ بَيْنَهُ.

وَكَيْفَ كُنْتَ أَطِيقَ أَنْ أَكُونَ انسانًا لَوْلَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ شَاعِرًا
أَيْضًا، وَحَالًا لِلْأَلْغَازِ، وَمُحرِرًا مَمَّا يَقْعُدُ اتِّفَاقًا.

خَلاَصُ الْبَشَرِ الْمَاضِي قَوْلُكَ "هَذَا مَا أَرْدَتُهُ" ...
إِرَادَةُ اسْمَ الْمُحرِّرِ، رَسُولُ الْفَرَحِ. هَذَا مَا عَلِمْتُكُمْ إِيَّاهُ، أَيَّهَا
الْاِصْدَقَاءِ.

(كَذَا تَكَلَّمُ زَرَادِشْتُ: الْقَسْمُ الثَّانِي)

التَّفُوقُ عَلَى الذَّاتِ

... أَصْغُوا إِلَيْنَا مَا أَقُولُ، يَا أَحْكَمَ الْحُكْمَاءِ، تَفَحَّصُوا
حَدِيدًا هَلْ وَلَحْتُ إِلَى قَلْبِ الْحَيَاةِ، وَإِلَى الْجَنَوْرِ.
حِينَما وَجَدْتُ الْحَيَّ وَجَدْتُ إِرَادَةَ الْإِقْتَدَارِ، وَفِي إِرَادَةِ الْخَادِمِ
نَفْسَهُ وَجَدْتُ الطَّمُوحَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ مَخْدُومًا.
إِنْ يَخْدُمَ الْأَضْعَفُ الْأَقْوَى فَطَمِعًا فِي أَنْ يَخْدُمَهُ مَنْ هُوَ أَضْعَافٌ
مِنْهُ. لَا لَذَّةُ لَهُ سُوَى هَذِهِ اللَّذَّةِ، وَيَأْبَى التَّخْلِيُّ عَنْهَا، وَإِرَادَتُهُ
تُقْبِنُهُ.

يُخْضِعُ الْأَصْغَرَ لِلْأَكْبَرِ لِيَجْدُ لَذَّةً وَقُوَّةً فِي مَا هُوَ أَصْغَرُ،
وَيُسْتَسْلِمُ الْأَكْبَرُ، يَجَازِفُ بِحَيَاتِهِ مِنْ أَجْلِ السُّلْطَةِ.

استسلام الأكابر جسارة وخطر، لعبة زهرٌ مع الموت.
التضحيات والخدمات ونظرات الحب إن هي إلا تعابير عن
إرادة السيادة. وهكذا ينساب الأضعف، عبر سبل ملتوية، إلى داخل
الحصن، إلى قلب الأقوى، ويسرق منه قوّته.
وأسرت إلى الحياة قالت: أنا ما عليه أن يتفوّق دائمًا على
ذاته.

احسبيوا هذا إرادة إبداع، أو اندفاعاً إلى الهدف، إلى ما هو
اسمي، وأبعد، وأغنى، فكلّ شيء واحد، سرّ واحد.
والزوال لأهونٍ على من العدول عن ذلك الشيء الواحد.
رأيت ذبولاً وأوراقاً تسقط، فاعلموا علماً حقاً أنها الحياة تضحي
بذاتها من أجل القوة.
إن يكن قدرى النضال، والتطور والسعى إلى أهداف،
وتصادم تلك الأهداف، فمن يعي إرادتي يعي أيّ سبلٍ ملتوية
سبلها.

مهما أبدع، مهما أحبُّ ما ابدعت، فعلّيَّ أن انقلب عدوّاً لما
أبدعت، وعدواً لحبي، فكذا تشاء إرادتي...
لم يعثر على الحقيقة من نادى "بارادة الحياة"^(١)، فهذه الإرادة
غير موجودة: المعدوم لا يريد، وأنّى للموجود أن يريد الوجود؟
لا إرادة إلا في الحيّ، ولكنّها ليست إرادة حياة، بل إرادة
اقتدار.

(١) إشارة إلى شوبنهاور.

في الحياة ما هو أغلى من الحياة، وما ينطق فيما يمثل هذا الكلام سوى إرادة الاقتدار؟

هذا ما علمته الحياة يوماً... يا أحكم الحكماء!

(كذا تكلّم زرادشت: القسم الثاني)

المتفوّق

خطب زرادشت في الشعب قال:
أعلمكم ما المتفوّق.

وُجدَ الإنسانُ للتفوّق فما فعلتم لتفوّقو؟
كلُّ الكائنات حققت حتى الآن بعض التفوّق على ذاتها،
وتريدون أنتم أن تكونوا جزءاً تلك الموجة الكبرى، فتوثرون العودة
إلى الحيوان على أن تحوّلوا إنساناً!

ما القرد في نظر الإنسان؟ إنه سخرية أو عارٌ مُوجع، وكذا
الإنسان في نظر المتفوّق: إنه سخرية أو عارٌ مؤلم.
جزتم المسافة ما بين الدودة والإنسان، وما زال فيكم كثير من
الدود.

كتم قروداً، في ما مضى، وما زال الإنسان حتى اليوم قرداً
أكثر من أي قرد، بل ما زال أحكمكم هجيناً، متبايناً، مزيجاً من
النبات والأشباح. أفلت لكم أن تصيروا أشباحاً أو نباتاً؟
ها أنا أعلمكم ما المتفوّق:

المتفوّق منحى الأرض. لتقلُّ إرادتكم: ليت المتفوّق يصبح
منحى الأرض!

أتوسّل اليكم، إخوتي! ظلّوا للأرض أوفياء، ولا تصدّقوا من يعلّلونكم بآمالٍ تخوز الأرض. انّهم يدّسون السمّ، وهم يعرفون أو لا يعرفون.

انّهم يحتقرن الحياة فهم مختضرون، مُسمّمون، وتعبت الأرض منهم فليزولوا!

كان التجديفُ على اللهِ، في ما مضى، شرّ التجاديف، ولكن الله مات، ومات معه أولئك المجدفون على اللهِ، وصار الشرّ الأكبر التجديف على الأرض!...

الحقّ أنّ الإنسان سيلٌ قذر، ولا يسع سوى البحر استيعاب سيلٍ قذر، ولا يتوسّخ. وها أنا أعلمكم ما المتفوق: انه ذلك البحر، واحتقاركم الكبير سوف يغرق فيه!

(كذا تكلم زرادشت: المدخل: ٣)

المسافر

ما أنا الاّ مسافر، ومتسلّق جبال. السهول لا تستهويي، ولا اخالي قادر على الاستقرار الطويل. وأياً يكن قدرّي، وما يجري لي، فهو لا يعدو أن يكون دائماً سفراً، أو صعوداً. وما المال سوى اختبار الانسان ما في نفسه.

مضى زمن المفاجآت، وما يمكن أن يحدث لي الآن، وما حدث.

أنا لا أفعل سوى العودة، العودة اليّ، تعود أجزاءً قضت زمان طويلاً مبدّدةً ما بين الأشياء وصروف الزمان.

وأعلم شيئاً آخر أيضاً: أحذني الآن أمام آخر ذرائي، أمام ما استُبقيَ لي أطولَ مدة، وعلىَّ ان أسلكَ أوعرَ طرقِي، وأوحشَ أسفاري.

ومن كان من طيني لا ينجو من مثل هذه الساعة، ومن ساعة تقول لي: لقد بدأتَ الان تشقّ طريقك الى العظمة، ولا فرق بين ذرّي ووهاد!

تشقّ طريقك الى العظمة، وما كان أكبرَ خطٍّ عليك أصبحَ الآن آمنَ مليجاً.

تشقّ طريقك الى العظمة، فعلى شجاعتك القصوى الآن لا يبقى طريق وراءَك.

تشقّ طريقك الى العظمة، ولن يندسْ أحدٌ وراءَك. قدماك أنفسهما محتا طريقاً احتزتها، وعليها كتب: مستحيل.

وإن عازتك كلُّ المعارج غداً فعليك أن تتسلقَ رأسك، وإلاً فكيف يسعك الصعود؟ تسلقَ رأسك، وتسلقَ بعده قلبك، يصبحُ أشقُّ ما كان أسهلَ ما يكون.

من أفرط في الإلحاج عن الشاقّ آل به إفراطه الى المرض.
تبارك ما يصير أصلب، فلا خير في بلاد تدرّ السمن والعسل.
(كذا تكلّم زرادشت: القسم الثالث).

الألواح القديمة والجديدة

١٥

سمعتُ أتقياء يعيشون على أوهام الآخرة، يناجون ضمائرهم، وليس في نيتهم كذبٌ أو دهاء، يناجونها بمبادئ لا أضلَّ منها في العالم، ولا أضرَّ، يقولون:

"دعِ العالم على حاله، لا تمسه ولو بطرف إصبعك، لا تحرّكْ إصبعاً لتردع من يريد خنق الناس، أو طعنهم، أو نحرهم، أو سلخهم، فذلك يعلمهم الزهد في العالم.
أما عقلك فعليك أن تُمسِّك بخناقه، وتخنقه، لأنَّه عقلٌ من هذا العالم، وبذلك تتعلَّم الزهد في العالم."

حطّموا، إخوتي، حطّموا الألواح القديمة، ألواح الأتقياء، أقضموا بأسنانكم أقوال المفترين على العالم.

٢٣

أريدُ الرجل أهلاً للحرب، والمرأة اهلاً للألمومة، وكليهما أهلاً للرقص بالقدمين والرأس.

ضائع يوم لا نرقص فيه ولو رقصةً واحدة، وكلام باطل
حقيقة لا تصحبها قهقهةً واحدة!

٣٠

أيتها الإرادة، إرادتي، وقدري! دعي كلَّ الصغائر، وأنقذني من كلَّ نصرٍ حقير.

١٤٦

يا مصيري، وقدري، الكامن فيّ، وفوري، احفظني، وأعدّني
إلى مصير عظيم.

واحتفظي، يا إرادتي، بعظمتك الأخيرة للتأثير الأخيرة،
للتصلب في النصر.

(كذا تكلّم زرادشت: القسم الثالث).

الانسان العظيم

١

لما أتيتُ الناس لأول مرة ارتكبتُ ما يرتكبه الوحيد من
جنون، الجنون العظيم: حللتُ في الساحة العامة.

خاطبتكُ كلَّ الناس فما خاطبتكُ أحداً!...

ولكنْ حقيقة جديدة أتنى، اذ أتى الصباح الجديد، تعلّمتُ أن
أقول: مالي وللساحة العامة، ولرَّاعِع الناس، وجبيتهم، وآذانهم
الطويلة؟!

تعلّموا هذا منّي، أيّها العظماء: ما من أحد، في الساحة
العامّة، يؤمن بالانسان العظيم، وإن شتم الكلام، في تلك
الساحة، فافعلوا، ولكنَ الرَّاعِع سيتغامر عليكم قائلاً: كُلُّنا
متساوون!

كذا يتكلّم الرَّاعِع، أيّها العظماء، يتغامر ويقول: ما من
عظماء فكُلُّنا متساوون. الانسان إنسان فكُلُّنا أمام الله متساوون!

المتفوّق هم قلبي، همّي الأوّل، بل همّي الواحد هو، لا
الانسان، ولا القريب، ولا الأفقر، أو الأشقي، أو الأفضل...
لقد احترتم، أيها العظماء، وهذا ما يبعث فيّ الأمل، فأكثر
الناس احتقاراً أجدرهم بالاحترام.

لقد يئستم، وهذا ما يستحقّ التقدير، فانتم ما اعتصتم
بالصبر، ولا جأتم الى صغار الفِطْنَ.

صغر الناس سادةُ اليوم، وكلّهم يدعُوا الى الاستسلام،
والتواضع، والفتنة، والكُدُّ، والمداراة، وكلّ ما هنالك من حقيرات
الفضائل.

ما هو امرأة، وعبد، وغوغاء، يبغي اليوم تسلّم مقاليد المصير
الانسانيّ، فيما للإشمئاز!...

علينا، إخوتي، قمعُ سادةُ الساعة، صغار الناس هؤلاء، فهم
أكبر خطر على المتفوّق!...

(كذا تكلم زرادشت: القسم الرابع)

في الحجر تغفو منحوتة

في الحجر، أيها الناس، تغفو منحوتة أبحث عنها، منحوتة
المنحوتات. ولماذا هي تغفو في أصلب حجر وأقبع؟
إزميلي يقسوا الآن، يفجّر هذا السجن. وما همّ اذا ما فجّره
شطليا؟

سأُنهي نحت هذه المنحوتة. إن طيفاً ظهر لي. زارني أصمت
ما في العالم وأخف، جمالُ المتفوق زارني كالطيف.
(كذا تكلّم زرادشت: في الجزر السعيدة: القسم الثاني)

المحاربون

أنا أحبّكم، أيّها الإخوة المحاربون، ومن صميم الفؤاد...
فدعوني أقول لكم الحقيقة...

عليكم أن تكونوا ممّن يبحث دائماً نظرهم عن خصم، عن
خصمكم، وأن تكون أول نظرة لدى بعضكم نظرة بغض.
ابحثوا عن عدوٍ، حاربوه من أجل أفكاركم. وإن تُهزم الفكرة
فعلى اخلاصكم أن يُنشيد نشيد النصر.

أحبّوا السلام وسيلةً إلى حروبٍ جديدة، والسلام القصير خير
من السلام الطويل.

لا أنصحكم بالعمل، بل بالكافاح، لا أنصحكم بالسلام بل
بالنصر. ليكن عملكم كفاحاً، وسلامكم نصراً!

تقولون إنَّ القضية العادلة تقدّس الحرب نفسها، وأقول لكم
إنَّ الحرب الراحة تقدّس كلَّ قضية.

حقّقتِ الحرب والشجاعة ما لم يحققْ حبُّ القريب من
عظائم، وما أعاذه المؤسأة، حتّى اليوم، رحمتكم^(١)، بل بطولتكم.

(١) إشارة إلى شوبنهاور، الذي دعا إلى الشفقة على الإنسان المعذب.

تقولون: ما الخير؟ الخيرُ أن تكون بطلاً، ودع الفتياتِ
اليافعات يقلن: الخير ما كان فاتنا، ومثيراً معاً...

أحبب الحياة حبّك أسمى أمل، ول يكن أسمى ما تفكّر فيه
الحياة.

ودعني أحدّد لك أسمى ما تفكّر فيه، فهو هذا: الانسان ما
يحب التفوق عليه.

(كذا تكلم زرادشت: القسم الأول).

العودة الأبدية

١ - إحدُرْ، يا انسان!

٢ - ما يقول منتصفُ الليل العميق؟

٣ - لقد غمتُ، لقد غمتُ،

٤ - وأفقتُ من حلم عميق.

٥ - العالم عميق،

٦ - أعمق مما يعتقد النهار.

٧ - عميق ألمه،

٨ - ولكن فرحة أعمق.

٩ - يقول الألم: اعبرْ، وانته!

١٠ - ولكن الفرح يبغي الخلود،

١١ - الخلود السحيق.

سعادة نيتشه

نيتشه الملحد نقىض نيتشه المسيحيّ، ابن القسّ اللوثريّ، وحفيد القسّين، ولا تتصدّى لإلحاده^(١) لنظلّ في ما نحن بصدده، في موضوع السعادة.

ونيتشه المتفائل نقىض شوبنهاور المتشائم، ثار عليه بعدما اقتفي خطاه، على ما يظهر في هذه اللوحة:

نيتشه	شوبنهاور
الحياة ارادة اقتدار	١- الحياة ارادة بقاء
ارادة الاقتدار تؤول الى سعادة	٢- ارادة البقاء شقاء
الوجود خير من العدم	٣- العدم خير من الوجود
يروم نيتشه معاودة حياته	٤- لا يروم عاقل معاودة
دوراتٍ لا نهاية لها.	حياته

عرضنا، في ما سبق، رأينا في تشاؤم شوبنهاور. أمّا بالنسبة إلى تفاؤل نيتشه فأهمّ ما نراه:

- ١- الحياة ارادة بقاء، على ما يعلم شوبنهاور، وما ارادة الاقتدار، ارادة التفوّق والسيادة، سوى وسيلة من أجل بقاء أفضل وأطول.
- ٢- ارادة البقاء وارادة الاقتدار تستلزمان العمل الدؤوب، الجد والنضال والتعب، ونؤيد حبّ نيتشه للحياة لتقدّمها وتفوّقها، على احتقار شوبنهاور.

(١) تصدّينا له في كتابنا (جبران ونيتشه) فراجعه إن شئت.

- ٣ - ونؤثر بالتالي الوجود على العدم، موقف نيتشه على موقف شوبنهاور.
- ٤ - أمّا معاودة الحياة على أرضنا فحلم، بل وهم، ونحن لا يعنيانا سوى الممکن والواقع.
- ٥ - والانسان المتفوق انسان مأمول، مستقبلٍ، آتٍ أو غير آتٍ، ويبقى تحديد مدى تفوّقه، ونوع هذا التفوّق أو انواعه.

سعادة ألان
اعمل تسعذ وثسعذ!

لهم اخونجنا انفسنا في حمود على اصحابنا في حمود من
حراسه طويلاً
في انتقامه من اخواته في حمود وهم يذمروننا
عذباً سرى للخر والخراف
وهم يذمروننا اخواته في حمود مسحيناً اثراً في حمود
او يذمروننا اخواته في حمود عرضاً في حمود



ألان

نَكَّةَ الْمُؤْمِنِ
أَنْ يَوْمَئِنَ لِمَا

لأمبل شارتيه، المعروف بـالآن (Alain) (١٨٦٨-١٩٥١) غير
مقال في السعادة. ومما قال:

أ- التعاشرة واقع، ومن السهل أن تكون تعيساً، أن تمرض،
وتضجر، وتفشل، وتتأسف...

ب- والسعادة واقع، ومن الصعب أن تكون سعيداً، أن
تسلم من أسباب التعاشرة، وتحظى بأسباب الهناء.

ج- إنما عليك أن تكون سعيداً، وتُسعد الآخرين. وأهمّ
الوسائل:

١- لا تبحث عن السعادة، فهي حاضرة أو غائبة، وتهرب
منك كظللك إن أنت طاردتها.

٢- السعادة في العمل، في الجهد والإبداع، والويل للكسول،
"من لم ييقِ له ما يهدمه أو يبنيه".

٣- إنما على العمل أن يكون حرّاً فالعبد والمأمور لا يجنيان
من عملهما السعادة.

٤- وعلى العمل أن يكون صعباً فسعادته في التغلب على
صعوباته.

٥- وعلى طالب السعادة أن يرضى عما لا مفرّ من حدوثه
في هذا العالم. أحبِ الكون كما هو^(١).

(١) موقف روائي.

هـ - عليه أن يكون بشوشَ الوجه، مرحًا. لا تحدث جلساًك واصدقاءك عمّا تعانيه من أوجاع ومكاره... فمن واجبك إسعاد الآخرين.

وـ اعمل لتسعد، وُتُسَعِّد الآخرين، فالسعادة واجب، وفضيلة.

ومن أقوال لأن في السعادة:

الملك يضجر

لا سعادة خالية من بعض القلق، أو الهوى، أو الألم.
نحن أحظى بالسعادة عادة عن طريق الخيال منّا عن طريق الواقع^(١) ... من لا يعمل شيئاً لا يحب شيئاً... وللذّة في الصعب.
(كان ملك يلعب بالورق فإذا خسر غضب... واتفق ملاعبوه فصار يربح دائماً، فترك اللعبة، وانصرف إلى الصيد). (١٩٠٨)

فنّ السعادة

علينا أن نعلم أولادنا فنّ السعادة، لا سعادة الرواقين، إذا ما بلية حلّت بهم، بل سعادة من كانت أوضاعهم محتملة، وكلّ مرارة الحياة بعض ملل أو قلق.

القاعدة الأولى ألا يحدّثوا الآخرين عن مصائبهم الحاضرة، أو الماضية، فخروج على الأدب أن يصفوا لهم وجع رأس، أو قيئاً، أو

(١) الفكرة فكرة كنط.

حوضة، أو مغصاً، وإن بعارات مصطفاة... الناس يسعون إلى الحياة، لا إلى الموت، ويبحثون عنّي يحيون، عنّي يقولون إنّهم سعداء، ويبدون كذلك... .

ومن هذا الباب، في فن السعادة...، أن يزهو وجهنا إذا ما الطقس تجّهم. (١٩١٠).

انتصارات

إن تبحث عن السعادة قُضي عليك بالفشل في الحصول عليها...، فالسعادة لا تكون سعادة إلا إذا تمتعت بها.
إن تبحث في العالم، خارجا عنك، فلن تجد أبداً ما له مظهر السعادة.

وإن اختصر الكلام فالسعادة لا يمكن توقعها، أو التفكير فيها، بل يجب الحصول عليها الآن. إن تبدأ حاصلة في المستقبل فهي، إن تحسّن التفكير، قد حصلت. سعادة مأمولة سعادة حاصلة... .

السعادة مكافأة من لم يبحثوا عنها. (١٩١١)

المزارعون السعداء

العمل أفضل شيء، وأسوأ شيء: انه أفضل، اذا قام به حرّ، وأسوأ اذا قام به عبد.

العمل الحرّ عمل ينظمه العامل نفسه استنادا إلى معرفته، وخبرته، عمل نجّار يصنع بابا... .

الزراعة اذا أللّ عمل، اذا كان الزارع يزرع أرضه. (١٩٢٢)

السعادة فضيلة

كان الحكماء القدماء يسعون الى السعادة، الى سعادتهم هم،
لا الى سعادة الجار.

أمّا حكماء اليوم فيعلمون أنّ السعي الى السعادة الشخصية
ليس سعيا نبيلا: بعضهم يردد أنّ الفضيلة تحقر السعادة، وهذا
كلام سهل، وبعضهم يعلم أنّ سعادة الجماعة هي مصدر السعادة
الحقّ الشخصية، وهذا أجوف الآراء دون ريب...

ليست السعادة الشخصية منافية للفضيلة، بل هي
نفسها فضيلة! (١٩٢٢)

ديوجين

لا سعادة إلاّ من يُريد، ويُيدع...
كلّ المهن للذّ للأمر، كريهة للمأمور...
السعادة الموهوبة تُضجر، وأفضل منها اللذّة المكتسبة، وأفضل
منهما العمل والكسب...
لا لذّة إلاّ في العمل، ولكنّ الكسول لا يعرف هذا، ولا يمكن
أن يعرفه.
وإن يسمع به لا يصدق!... (١٩٢٢)

أعمال

الإيمان فضيلةُ أولى، وثانيةُ الرجاء.

هذا يجب أن نبدأ، دون أيّ رجاء، ويأتي الرجاء بتحقيق
التقدّم ...

يُقال إنّ السعادة تهرب مِنْا هربَ ظلّنا، والحقّ أنّ ما تخيله
سعادة لنا لا يأتي أبداً... (١٩٢٢)

علينا أن نحبّ العالم

الذي فهم بعض الفهم ما الضروريّات لا يحاسب الكون، لا
يسأل لماذا هذا المطر، وهذا الطاعون، وهذا الموت، لأنّه يعلم أنّ ما
من جواب عن هذه الأسئلة. الكون هكذا هو. هذا كُلُّ ما يمكن
قوله. وما هذا بالقول القليل القدر، فالوجود شيء، وهذا يسحق
كُلَّ العقول ...

علينا أن نحبّ العالم، دون الحكم عليه. علينا الانخاء أمام
الوجود. (١٩٠٨)

كلمات

ما أتعس إنساناً لم يبقَ له ما يهدمه أو يبنيه!
لو كان عليّ أن أضع بحثاً في الأخلاق لجعلت من البشاشة
أوّل واجب... الرفق فرح، الحبّ فرح.
إذا ما ركبتُ القطار سمعت دائمًا مسافرين يرددون: لن نصل
قبل تلك الساعة! كم هو طويل هذا السفر، ومدعاة للضجر! ...

ولو نظروا الى الأمر نظرة مخالفة لعدوا السفر في القطار من
أمتع اللذات...، لنظروا الى ألوان الأرض والسماء، وهرب
الأشياء!...

واحِبُّ السعادة

ليس من الصعب أن تكون تعيساً، أو غير راضٍ... ولكنَّه
صعبٌ دائماً أن تكون سعيداً، فأنْتَ تقاوم أحاديث كثيرة، وبشراً
كثيرين، والهزيمة ممكنة، اذاً لا شَكٌّ في وجود أحاديث قاهرة،
وتعاسات أقوى من الرواقي المتدرب. ولكنَّ الواحِب يقضى، وقد
يكون أوضَحُ واحِبٍ، لأنَّه لا يعترف بالهزيمة قبل أن تقاوم بكلِّ قواه.
ويبدو لي أنَّ السعادة مستحيلة على من لا يريد لها، فعليك اذاً أن
ترى سعادتك، وتعلّم على تحقيقها.

وممَّا نُقصِّرُ في إقرارنا به هو أنَّ سعادتنا واحِبُّ نحْنَ الآخرين.
نحن نرددُ أنَّنا لا نحبُّ سوى السعيد، ولكنَّنا ننسى أنَّ هذه
المكافأة عادلة، ومستحقة، لأنَّ الهواء الذي نتنفسه حافلٌ بالتعاسة،
والضجر، واليأس... وعليه فلا شيء أعمق في الحبِّ من القسم بأنَّ
نكون سعداء، بل قد اقترح على الدولة أن تكلِّلَ كلَّ انسان قررَ
أن يكون سعيداً! (١٩٢٣)

أَرْسَطُوا

صَيْلَةُ لذَّةُ الموسيقى إن تكتفي بسماعها، ولا تقوم بأيِّ
غناء... .

يحضر الناس تمثيليات، ويضخرون أكثر مما يقولون...
ويقول أرسطو هذا الشيء المدهش، يقول إنّ الموسيقي الحقّ
هو الذي يجد لذّة في الموسيقى، والسياسي الحقّ هو الذي يجد لذّة
في السياسة، فاللذّات علامات طاقات...

علامة التقدّم الحقّ في كلّ عمل هي ما نعرف أن نجد فيه من
لذّة، وعليه فالعمل هو الشيء الواحد اللذيد، والكافي، وأعني
العمل الحرّ، ثمرة قدرة، ومنبع قدرة معاً. واردد: علينا أن نعمل، لا
ان نتلقّى العمل. (١٩٢٤)

حبّ الموجود

من الأشياء ما ينبغي القبول بها، دون فهمها...
الكون واقع فعلى العقل أن يتحسّن...
ناسٌ كثير يلومون المطر، والثلج، والبرد، والريح،
والشمس!...

سعادة لأن

أجل، يسعدنا العمل، العمل الحرّ الصعب.
ومن حقّنا أن نكون سعداء، وأن نُسعِد الناس، من حقّنا ومن
واحبتنا.

إنما لسنا نوافق:

١ - على ما دعا اليه زينون ويجاريه لأن، على حبّ هذا
الكون بكلّ ما فيه، ففي كوننا ما يشقي، وفي وسعنا المقاومة،
وتحقيق انتصارات.

٢ - على ان السعادة كظلّنا إن نطاردها تهربُ منا، وتلاحقنا
ان نهرب.

طارد السعادة ان تعرف ما يسعدك، والا فانت تطارد
مجهولاً،

أو أنت سعيد ولا تعلم ما يسعدك!

سعادة كامو
تمرد وتمتع



كامو

للمطالع
ويقتني

كامو في كلمات

- ابن اسرة فقيرة.
- قُتِل أبوه وهو ابن عام.
- تنقل ما بين فرنسة والجزائر.
- تزوج فطّلّق، ثم تزوج.
- أُصيب بمرض السلّ وساعات صحته.
- انضوى الى الحزب الشيوعيّ، ثم استقال منه.
- التحق بالمقاومة ضدّ الاحتلال الألمانيّ.
- عُني بالفلسفة، والمسرح، والصحافة.
- نال جائزة نوبل سنة ١٩٥٧.
- قُتِل ضحية حادث سيارة سنة ١٩٦٠.

مؤلفاته

- ١ - الوجه والقفاف (١٩٣٧).
- ٢ - أعراس (١٩٣٨).
- ٣ - الغريب (١٩٤٢).
- ٤ - اسطورة سيزيف (١٩٤٢).
- ٥ - سوء التفahم (١٩٤٣) (مسرحيّة).
- ٦ - رسائل الى صديق ألمانيّ (١٩٤٥).
- ٧ - كاليفولا (١٩٤٥) (مسرحيّة).
- ٨ - الطاعون (١٩٤٧).

- ٩ - الحصار (١٩٤٨) (مسرحية).
- ١٠ - الأبرار (١٩٤٩) (مسرحية).
- ١١ - حالّيات (١٩٥٤-١٩٥٨-١٩٤٩).
- ١٢ - الإنسان المتمرّد (١٩٥١).
- ١٣ - الصيف (١٩٥٤).
- ١٤ - السقوط (١٩٥٦).
- ١٥ - النفي والملّكت (١٩٥٧).

أبرز الموضوعات

- ١ - في العبّيّة (Absurdité): سيزيف، والغريب، وكاليغولا، وسوء التفاهم.
- ٢ - في التمرّد (Révolte): المتمرّد، والطاعون، والأبرار، واللحصار.

مذهبة

أبي كامو الانتساب الى مذهب فلسفى أو سياسى، وان عدّه باحثون فيلسوفا وجوديا لما بينه وبين الوجوديين من مواطن شبه. وأبرز ما في مذهبة:

أ - العبّيّة

حياة الانسان تعasse، شرّ وشقاء وموت، والانسان عاجز لا يعرف ما هو، وما العالم، معرفةً موضوعيةً، تامةً، واضحةً، ثمّكّنه من التغلّب على تعاسته، وتحقيق سعادته.

واقع الانسان واقع عبّي، هوة بين الواقع وما نشهي، دافع
الى الكفر بوجود إله خالق قادر جواد، وكيف يكون قادرًا ويفعل،
وجواداً ويخل؟!

بـ التمرّد

وإذا لم يكن إلهٌ وآخرة، وكان الشقاء والشرّ والموت، وكان
وجود الحياة والانسان عبثاً، كان الانتحار هو الخيار، خيرٌ خيار.
ولكنَّ كامو يأبى الانتحار، يتمرّد على الواقع العبّي، يتسبّب
بالحياة:

- ١ - لأن الانتحار استسلام للعبّيّة، شرٌّ على شرٍّ. وإن تكن
الحياة لا معنى لها ف فهي أجرأ لأن نحياتها ليصبح لها معنى.
- ٢ - لأن الحياة عزيزة على الانسان، وإن أشقي حياة، وأطول
حياة.
- ٣ - لأنَّ وعيَ العبّيّة يشير التمرّد من أجل الحرية، حرية
المتمرّد، وحرية كلّ انسان. عازٌ أن تتحرّر وحدك: "تمرّد فنحن
موجودون!"
- ٤ - لأنَّ للحياة، على واقعها، سعادتها.

جـ أيُّ سعادة

لا تتوقع سعادة موعودة، أخرى أو دنيوية، سعادة السماء او
سعادة ماركس ونيتشه، فهذه سعادة غائبة أو مجهمولة.

٢ - لا تسع إلى سعادة عقلية غير يقينية، فلا يقينيات إلا في
المحسوسات.

ازهـْ في النظريـات يتفرـغ الجسد للأفراح الجسدـية. ابـحـث عن السـعادـة في الجـسـديـ المـحسـوسـ، وما الحـبـ سـوى عـنـاق جـسـدـينـ.

ـ ـ ـ اسـعـ إلى السـعادـة وان مـحدودـة يـنـغـصـها الـأـلـمـ والـشـرـ، وـتـنـتـهـيـ بـالـمـوـتـ. وما الـواـجـبـ سـوىـ السـعـيـ إـلـىـ السـعـادـةـ.

ـ ـ ـ اكـتـفـ بـسـعـادـةـ الـحـاضـرـ، فـالـماـضـيـ مـضـىـ، وـالـآـتـيـ مـجـهـولـ. عـشـ معـ الزـمـانـ، وـمـتـ مـعـهـ!

ـ ـ ـ ارـضـ بـالـوـاقـعـ، اذـعـنـ لـلـقـدـرـ، كـنـ سـيـزـيفـاـ يـنـتـصـرـ عـلـىـ الصـخـرـةـ، لاـ يـدـعـهاـ تـسـتـقـرـ فـيـ الـوـادـيـ، بلـ يـصـعـدـ بـهـاـ إـلـىـ الـذـرـىـ، يـصـعـدـ وـيـعـاـودـ الصـعـودـ، يـنـتـصـرـ وـيـسـعـدـ بـنـصـرـهـ!

ونـنـقـلـ لـكـ منـ كـتـبـ كـامـوـ، مـنـ سـيـزـيفـ، وـالـتـمـرـدـ، وـالـغـرـيبـ، أـبـرـزـ ماـ يـعـبـرـ عـنـ العـبـيـةـ، أـوـ التـمـرـدـ، أـوـ السـعـادـةـ:

ـ ـ ـ أـ منـ سـيـزـيفـ:

ـ ـ ـ ياـ نـفـسـ، لاـ تـطـمـحـيـ إـلـىـ الـحـيـاةـ الـخـالـدـةـ، بلـ اسـتـنـفـدـيـ مـسـاحـةـ الـمـكـنـ. بـنـدارـ

ـ ـ ـ مـقـدـّمةـ

ـ ـ ـ تـلـمـ الصـفـحـاتـ التـالـيـةـ بـمـوـضـعـ الـاحـسـاسـ الـعـبـيـةـ، الشـائـعـ فـيـ هـذـاـ الـعـصـرـ، لـاـ بـالـفـلـسـفـةـ الـعـبـيـةـ، الـتـيـ لـمـ لـيـتـطـرـقـ إـلـيـهـاـ بـدـقـةـ أـهـلـ هـذـاـ الـرـمـانـ.

العبّيّة والانتحار^(١)

مشكلة الانتحار هي المشكلة الفلسفية الواحدة الجديّة كلّ الجدّ، اعتبار الحياة جديرة بأن تُعاش أو غير جديرة، حواب عن السؤال الفلسفيّ الأساس...

وإنّ أسألَ ما المعيار الذي يجعل مسألة أولى بالبحث من غيرها أجبُ: انه اقتراها بالأفعال!...

انّ غاليله، الذي اهتدى إلى حقيقة علميّة خطيرة، ححدّها اذ عرّضت حياته للخطر. وحسناً فعل فهذه الحقيقة لا تستحقّ النار.

على أنّي أرى كثيرين يموتون لأنّهم يرون انّ الحياة غير جديرة بأن تخياها، وأرى بالمقابل أنّاساً يقتلون دفاعاً عن أفكار أو أوهام تقنعهم بأن يحيوا (ما يُقنعوا بأنّ نحنا هو ما يقنعوا بأنّ نموت)، ولذا أرى أنّ معنى الحياة ألحّ المسائل بالبحث...

موضوع هذه الدراسة هو بالضبط صلة الانتحار بالعبّيّة، اعتباره حلّاً لها...، اعتبار الموت تنفيذاً لقراراتها...

غربة الجاهل

ما يسعني ادعاء معرفته شخصاً كان أو شيئاً؟

هذا القلب قلي أشعر به، وأسلم بوجوده.

وهذا العالم ألمسه، وأسلم أيضاً بوجوده.

عند هذا الحدّ تقف معرفتي!...

(١) أكثر العناوين من وضع الناقل.

إن أحاول إدراك ما أنا، ما أثق في وجوده، إن أحاول تحديده
أو اختصاره، لم يبق منه سوى ماء يجري بين أصابعي ...

هذا القلب، قلبي، سيظلّ أبداً مستعصياً على التحديد. لن
يسعني ردم الهوة القائمة ما بين ثقتي في وجودي وما أحاول تبيّنه
كمضمون لهذه الثقة. سأظلّ أبداً غريباً عنِّي ...، وعن هذا
العالم ...، فكلّ شيء أُعِدَّ لولادة هذا السلام المسمّم، نتيجة
اللامبالاة، وسبات القلب، أو الزهد القاتل.

العقل أيضاً يثبت لي، على طريقته، أن العيشة طابع هذا العالم.

سيزيف

قضت الآلة على سيزيف بدرجّة صخرة، يُدحرجها دون
توقف حتّى يبلغ بها ذروة جبل، وتعود الصخرة فتهبط ...،
واعتقدت الآلة، وهي على حقّ في ما اعتقدت، أن لا عقاب
أرهب من عمل باطل يائس! ...

ونرى ما يقوم به جسد من جهد ليرفع صخرة ضخمة،
يدحرجها، يتسلق بها سفحاً، ويعاود التسلق مرّة بعد مرّة.

نرى الوجه المتقبض، والخذلان الملتصق بالصخرة، والكتف التي
تسند جسماً كساه التراب، والرجل الذي تسنده، والذراعين اللتين
 تستعيدانه، واليدين المملوءتين تراباً، الواثقتين ثقة انسانية.

ويتحقق المدف في نهاية هذا الجهد الطويل، المقياس بفضاء
دون سماء، وزمان دون عمق. وحينئذٍ يرى سيزيف الصخرة
تهبط، في مدى هنّيات، إلى العالم الأسفل، وعليه أن يعود بها إلى
الذرى، فينزل عائداً إلى السهل.

يعني من سيزيف فترة عودته، وفنته تلك.

ان وجهها أعياه التعب بجوار صخور يصبح هو نفسه صخرة! أرى هذا الإنسان يهبط عائدا بخطى بطيئة، متساوية، الى عذاب لا نهاية له.

هذه الساعة، التي تشبه التنفس، والتي تعود عودة ذلك العذاب المحتوم، هي ساعة الوعي. في كل هنئة من تلك الهنئات، التي يغادر فيها الذرى، ويهبط رويدا الى أو جار الآلة، أراه قد صار سيد قدره، صار أقوى من صخرته.

ان تكون هذه الاسطورة مأسوية فلأن بطلها يعيشها. وما الذي كان يُشقّيه لو كان الأمل بالنجاح يشدّد من عزيمته لدى كل خطوة؟

عامل اليوم يعمل كل أيام حياته، يقوم بالمهام نفسها، وقدره هذا ليس أقلّ عبثية. ولكن هذا القدر لا يصبح مأسويا إلا حين يعيه، ويندر وعيه له. أما سيزيف، العامل في معمل الآلة، عاجزا ومتمردا معا، فإنه يعرف مدى واقعه التعيس، وبه يفكّر لدى نزوله. بثاقب فكره رأى ما كان يمكن أن يعذبه ونصره معا. ما من قدر لا يُقهر بالاحتقار!

ان يكن النزول مؤلما في بعض الأيام ففي وسعه أيضا أن يتم في الفرح. وهذه الكلمة ليست نافلة...

أترك سيزيف في أسفل الجبل! حملنا يعود دائماً. ولكن سيزيف يعلمنا الأمانة العظمى، التي تحدد الآلة، وترفع الصخور... هذا الكون، الذي خلا من ربّه، لا يجد له قاحلا، أو تافها. كل

فتات من هذه الصخرة، كل شظية معدنية من هذا الجبل، الطافح بالليل، تؤلف وحدتها عالما. النضال نفسه سعيا الى الذرى يكفي لملء قلب الانسان. علينا أن نتصور سبزيف سعيدا.

بـ منَ الانسان المتمرد

المتمرد

أهتف أني لا أؤمن بشيء، وأن العيشية طابع كل شيء، ولكن لا يسعني الشك في هتافي، وعلى على الأقل، الإيمان باحتياججي. والتمرد هو الموقف الواضح، الأول والواحد، المتيسّر لي أمام اختياري العيشي ...

الإنسان هو المخلوق الواحد، الذي يرفض أن يكون ما هو. والسؤال: هل هذا الرفض يؤدي بالضرورة إلى القضاء على الآخرين، وعلى الذات، هل على كل تمرد أن ينتهي بمبرير القتل الجماعي، أو يمكنه أن يكتشف أساسا لحالة أثيمة معقولة؟

المتمرد

ما الإنسان المتمرد؟ أنه إنسان يقول: لا، ولكنّه يرفض ولا يزهد. أنه إنسان يقول أيضا: بل، ومنذ الحركة الأولى. أنّ العبد، الذي تلقى أوامر، على مدى حياته، يرى فجأة أنّ أمراً جديداً غير مقبول...، يرفض أمراً ظالماً لأنّ من حقه ألا يكون مظلوماً ...

أنّ العبد، اذ يعصي أمر سيده المذلّ، يبذّ وضعه كعبد. حركة التمرد تتجاوز حالة الرفض... التمرد انتقال من الواقع إلى

الحقوق... العبد يتتصب، اذ يرى أنّ أمرَ سيدِه قد أنكر شيئاً
يخصّه، ولا يخصه وحده، بل هو شأنٌ كلّ الناس، من فيهم من
يهينه ويظلمه...

أنّ أول تقدّم يتحققه روح التمرّد تقدّم بالنسبة الى تفكير صادر
عن عبّية العالم، وعقمه السطحيّ.

الاختبار العشيّ عذاب فرديّ، أمّا حركة التمرّد فوعيّ
جماعيّ، مغامرة جماعية... الشرّ، الذي كان بليّة انسان واحد،
أصبح طاعوناً عاماً... تمرّد فتح موجودون!

التمرّد الماورائي

التمرّد الماورائي حركة يقاوم بها انسانٌ وضعه، والخليقة
كلّها. وهو تمرّد ما ورائيّ لأنّه يُنكر أهداف الانسان والخليقة.

العبد يحتاج على حالة ملزمة لواقعه، أمّا المتمرّد الماورائي
فيحتاج على حالته كانسان. يحتاج العبد لأنّ فيه ما يرفض المعاملة،
التي يلقاها من سيدِه، أمّا المتمرّد الماورائي فيُعلن أنّ واقع الخلق
يحرمه حقّه...

يتتصب المتمرّد الماورائي فوق عالمٍ محطم ليطلب بوحنته،
يواجه بمبدأ العدالة، المُقيم فيه، مبدأ الظلّامة العامل في العالم...

يحتاج المتمرّد الماورائي على ما في الواقع من نقص حاصل عن
الموت، وتبدل ناتج من الشرّ، مطالباً بوحدة سعيدة بدلاً من عذاب
الحياة والموت. ان يكن الحكم بالموت واقعٌ كلّ انسان فالتمرّد

معاصرٌ له. المتمرد يرفض واقع موته، والتسليم بقدرٍ يقضي عليه بالعيش في هذا الواقع، يرفض الاثنين معاً.

حجّة المتمرد

ليس عذاب الطفل ما يشير التمرد، بل غيابٌ مُثيرٌ لهذا العذاب.

انا قد نرضى عن الألم، والنفي، وعزلة الأديار، اذا ما أقنعنا الطبّ بذلك، أو العقل السليم.

ما ينبغي، في نظر المتمرد، لعذاب العالم، لهنيهاتِ سعادته، هو مبدأ تبرير.

رهان المتمرد على السعادة

يختلف التمرد المنطق، اذا ما آل به الأمر الى الهدم.

مطالبة التمرد بوحدة الواقع الانساني عزمُ حياة، لا عزم موت. منطقه العميق ليس الهدم، بل الخلق...

منطق المتمرد العمل من أجل العدالة كي لا يتفاهم ظلمُ الواقع، ومحاولةُ الكلام الواضح كي لا يزداد الكذب العام كثافة، والمراهنةُ، في مقابل عذاب البشر، على السعادة.

الظلم والألم باقيان

يصطدم المتمرد دون ملل بالشرّ، ولا يبقى له الانطلاق منه الى وثبة جديدة. يستطيع الانسان ان يُخضع فيه كلّ ما يجب

إخضاعه، وعليه أن يُصلح كلَّ ما يمكن إصلاحه. وبعد ذلك سيموت الأولاد دائمًا ميتة المظلوم، وإن في مجتمع كامل. لا يسع المرأة، وإن يُنفق أقصى جهد، سوى التصميم على تخفيف عذاب العالم تخفيفاً حسائياً. الظلم والألم باقيان، ومهما ضاقت حدودهما سيظلان حجرَ عشرة...

لن يموت الفنُ والتمردُ الا حين يموت آخر انسان!

دور التمرد

في وجه الشرّ، ووجه الموت، يعلو صراغ الإنسان من أعمق أعماقه مطالباً بالعدالة. جواب المسيحية التاريخية عن هذا الصراغ في وجه الشرّ البشري بالملكون، ثمّ الحياة الأبدية، التي تفترض الإيمان. ولكن الألم ينهك الأمل والإيمان، ويبيّن وحده دون مبرر. الجماعات العاملة، التعبى من الألم والموت، ملحة، وموقعنا بجانبها... المسيحية التاريخية تؤجّل إلى ما بعد التاريخ الشفاء من الشرّ والقتل... وتنوّهم المادية المعاصرة أنها تنجيب عن كلّ الاسئلة مستقبلاً. وفي كلا الحالين يجب الانتظار، ويظلّ البريء يموت. إنّ مجموع الشرّ في العالم لم ينقص منذ عشرين قرناً...، الظلمُ باقٍ ملتتصق بكلّ ألم...

وهذا يفهمنا أنّ التمرد لا يسعه الاستغناء عن حبّ غريب. انّ الذين لا يجدون الراحة في الله، أو في التاريخ، يُضطّرون إلى ان يحيوا من أجل العاجزين عن الحياة عجزَهم هم، من أجل الأذلاء!...

التمرد يبذل دون تسويف ما لديه من قوّة الحبّ، ويأبى
الظلم. مجده إهمال الحسابات، وتوزيع كلّ ما لديه على الحياة
الحاضرة، وعلى إخوته الأحياء...، وهكذا يثبت التمرد أنه حركة
الحياة، وأنّه لا يمكن إنكاره دون التنازل عن الحياة...، فهو اذاً
حبّ و خصب، أو لا شيء. الشورة الفارغة من الشرف ثورة
الحسابات، التي تؤثر الإنسان الخيالي على الإنسان الحيّ...، تُحلّ
الحقد محلّ الحبّ...، ويُصبح تمرد جديد تمرداً مقدساً باسم
الاعتدال والحياة. لقد بلغنا هذا الحدّ، وبعد هذا الظلام لا بدّ من
نور، من نور تتوقعه، وتناضل من أجل ظهوره. إنّا نُعدّ نهضة من
بين الانقضاض، ومن وراء العدمية، وقلّ من يعلم.

المتمرد وأوربة

يُهمّل الأوروبيّ الحاضر من أجل المستقبل، طريدة الموجودات
من أجل دخان القوّة، بؤس الضواحي من أجل مدينة متائلقة،
العدالة اليوميّة من أجل أرض موعودة باطلة، يأس من حرّيّة
الأشخاص، ويحلّم بحرّيّة النوع العجيبة، يأبى موت الفرد ويدعو
خلوداً احتضاراً جماعياً مُذهبشاً. ما عاد الأوروبيّ يؤمّن بما هو قائم،
بالعالم وبالإنسان الحيّ. سرّ أوربة إنّها ما عادت تحبّ الحياة...،
ولهذا تريد محوّ الفرح من لوحة العالم، وتأجّيله إلى موعد آخر...

في ظهيرة الفكر يأبى التمرد أن يكون إليها، ويشارك في كلّ
تضال وقدر... العالم حُبّه الأول والأخير... العدالة حيّة، ولذا
يشعر بفرح غريب يسعفه على الحياة والموت...، وبه، عبرَ معارك
طويلة، يجدد روح هذا العصر، ويجدد أوربة لا تستبعد شيئاً!

زواج

أَتَتْ مُرِيمَ مسَاءً تَبْحَثُ عَنِّي، وَسَأَلَتْنِي هَلْ أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَهَا.
أَجْبَتْهَا أَنْ لَا فَرْقٌ عَنِّي، وَيُمْكِنُ أَنْ نَتَزَوَّجَ إِنْ كَانَتْ تَشَاءُ.
أَرَادَتْ أَنْ تَعْرِفَ إِنْ كَنْتْ أَحْبَبَهَا فَاجْبَتْهَا... أَنْ هَذَا لَا
يَهْمِّنِي، وَلَكِنْ مَا لَا رِيبٌ فِيهِ أَنِّي لَا أَحْبَبُهَا.
قَالَتْ: وَلَمْ تَتَزَوَّجِنِي أَذَّا؟ أَفْهَمْتُهَا أَنْ لَا أَهْمِيَّةٌ لِذَلِكَ، وَأَنْ
زَوْاجُنَا مُمْكِنٌ إِنْ هِيَ أَرَادَتْ. وَهِيَ بَعْدُ الَّتِي عَرَضَتْ، وَاكْتَفَيْتُ
بِأَنْ أَوْفَقَ.

أَشَارَتْ إِلَيْيَّ أَنَّ الزَّوْاجَ أَمْرٌ خَطِيرٌ فَأَجْبَتْ بِالنَّفِيِّ.
صَمَتَتْ هَنِيَّةً، ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَيَّ، وَتَكَلَّمَتْ، أَرَادَتْ أَنْ تَعْرِفَ
هَلْ كَنْتَ وَافِقَتْ عَلَى الْعَرْضِ نَفْسَهُ لَوْ عَرَضَتْهُ امْرَأَةٌ أُخْرَى،
فَقَلَّتْ: طَبَّاعًا! ...

ظَلَّتْ هَنِيَّةً صَامِتَةً، ثُمَّ هَمَسَتْ، قَالَتْ لِي أَنِّي غَرِيبُ الطَّبَعِ،
وَأَنَّهَا لِذَلِكَ دُونَ رِيبٍ تُحِينِي...، ثُمَّ أَخْذَتْ بِذِرْاعِي، وَابْتَسَمَتْ،
وَأَعْلَنَتْ أَنَّهَا تَرِيدُ أَنْ تَتَزَوَّجَنِي. قَلَّتْ لَهَا: سَنَتَزَوَّجَ حِينَ تَشَائِنِينَ.

بعد الحكم بالاعدام^(١)

سَأَمُوتُ أَذَّا، أَمُوتُ قَبْلِ كَثِيرَيْنِ غَيْرِيِّ.

(١) ارتكب كامو جريمة قتل مناصرةً لصديق له فُحُكمَ عليه بالإعدام.

هذا واضحٌ كُلَّ الوضوح، وكُلَّ الناس يعلمون أن هذه الحياة غير حديقة بأن نحيها.

في الحقيقة ما كنت أجهل أن لا فرق يُذكر بين الموت في سنِ الثلاثين أو الستين، ما دام آخرون، رجال ونساء سيفسخون، في كلام الحالين، وعلى مدى آلاف السنين. لا شيء أوضح من هذا فأنا الذي سأموت، في كُلِّ الأحوال، أموت الآن، أو بعد عشرين سنة...

وما دمتُ سأموت فليس المهم كيف أموت، ومتى!

كامو و كاهن السجن

دخل عليّ الكاهن، المعنى بالسحناء، فاضطربتُ اذ رأيته.
وابتبه الى اضطرابي فقال لي: لا تخفْ!... ثم سألني لماذا
أرفض زياراته لي: فأجبته: أني لا أؤمن بالله.

وأراد أن يعرف إن كنتُ على يقين من ذلك فأجبته أني لا
أسأل نفسي هذا السؤال، لأنّه يبدو لي غير ذي بال. استلقى عندئذ
إلى الحائط، وكم من لا يحدّثني أشار إلى أنّنا نبدو أحيانا على يقين
دون أن نكونه في الحقيقة. ولم أقل شيئاً فنظر إليّ وقال: ما ترى؟
أجبتُ أنّ هذا ممكن... ولكنّ حديثه لا يهمّني.

أشاح بنظره عنّي...، ثم سألني إن كنت أتكلّم هكذا لما أنا
عليه من يأس، فأفهمته أني غير يائس...

نظر إليّ دون أن يتكلّم، وعيناه مغورقتان بالدموع، ثم
انصرف وتوارى.

عاودني الهدوء إذ انصرف...، وأمام هذا الليل المليء
بإشارات النجوم، شعرت لأول مرة بلا مبالغة العالم، الطافحة
بالخنان...، شعرت أني عشت سعيداً، وأنني ما زلت سعيداً.
ولكي يتم كل شيء، وحتى يخفّ شعوري بوحدي، لم يبقَ
لي ما اشتتهيه سوى حضور مشاهدين كثيرين يوم إعدامي،
واستقبالي بصرنخات البغض.

سعادة كامو

لا نوفق على أن العيشية واقع العالم، ودافع إلى الإلحاد.

ولكننا نقدّر لدى كامو:

- ١ - إحجامه عن الانتحار، وإن ملحدا في عالم يتسم بالعيشية.
- ٢ - تمرّده على ما ظنه عيشية، حبه للحياة، ونضاله من أجل الحرية، حرية وحرية كل الناس.
- ٣ - بل شعوره بالسعادة، وإن محكوما عليه بالإعدام، شعور سيف المحكوم عليه بمعاودة الهبوط إلى الوادي، ودحرجة الصخرة إلى ذروة الجبل، وذلك ما دامت الصخرة ودام!

وماذا بعد؟

عرضنا آراء أعلام باحثين هم أبرز من تصدوا الموضوع السعادة والشقاء، أو من أبرزهم.

وأوضح جامع مؤلأء الأعلام تباعُّهم:
أنّهم يتباينون نسبياً قارياً،

فبعضهم أسيوي شرقيّ،
وبعضهم أوربي غربيّ،^(١)
واسية وأوربة موطننا الثقافة المرموقة،
كانتاهما، وما تزالان.

ويتبادر آراء:

فهذا مؤمن بوجود الله، وذاك ملحد.

هذا راضٍ عن هذا العالم، عن حياته والحياة،
وذاك ناقم شاكٌ يودّ لو لم يوجد.

هذا راغب في المرأة، أو مستعيض بها عن فراغ،
وذاك ناقم، أو زاهد.

هذا داعٍ إلى التحرر من الرغبات، من كلّها أو بعضها،
وذاك راضٍ عنها، ساعٍ إليها...

(١) الشرقيون: الهندوسي، وبودا، وزينون الصوري، والمعري، والخاتم، وابن سينا.
والغربيون: ارسسطو، وايقرورس، ولينتر، وشوبنهاور، ونيتشه، وألان، وكamu.

انَّ في هذا العالم، في كُلِّ ما تصدَّى له الباحثون، ما يُسعد، وما يُشقي، فهذا استوقفه بعض ما يُسعد، وأوضحه، وذاك بعض ما يشقي، وأفده، وكلاهما في ما ادعاه صادق.

يرى بوذا السعادة، مثلاً، في الترفة، ويراها أرسطو في التأمل الفلسفي والفضيلة، وابن قورس في اللذات، والخيام في الخمرة والمرأة، وابن سينا ولينيتر في ما صنعه الله الكامل، ونيتشه في التفوق والسيادة، وألان في العمل الحرّ، وكamu في التمرد وعناق الأجساد... وكلّهم اعتقد صحة ما قال.

ويرى بوذا نفسه أنَّ المرض والهرم والموت أسبابُ شقاء، ويراها الموري وشوبنهاور في ما نصَّى إليه من رغبات، أو قد نصَّى، ويشكُّو كما يلقاه البشر في الحياة من شقاء وشرّ... وكلّهم صادق في ما اعتقد.

تبادرَ من عرضنا آراءُهم في السعادة والشقاء، تبادرُوا و كانوا صادقين في ما اعتقدوا، وسبب هذا الواقع نسبيَّة السعادة والشقاء، أي واقع الباحث نفسه.

ونُقدم، نحوَل نظرة جامعَة ناقدَة، لا إلى كُلِّ ما سبق ذكره، بل إلى أخطره، إلى أربع، وهي:

- ١ - دور الله في سعادة دنيانا وشقائها.
- ٢ - دور المرأة فيهما.
- ٣ - دور المال.
- ٤ - دور رغباتنا.

أ- دور الله

رأينا، لدى من ورد ذكرهم في بحثنا، مواقف متباعدة أو متناقضة، من دور الله في حياتنا، في سعادتنا وشقايانا، ويمكن ردها إلى اثنين:

أولاً: لا دور لله:

لا يرى الهندوسيّ، في الحياة الدنيا، سوى الشقاء، فيسعى إلى سعادة الآخرة، أو ما عده سعادة، إلى الخلاص من التناصح، والعودة إلى الله، والفناء فيه.

ويوافق بوذا الهندوسيّ على نظرته تلك إلى الشقاء، ولكنّه يؤمن بقدرة الإنسان على تجاوز الواقع، على التحرر من كلّ شواغل الدنيا، وبلغه حالة الاطمئنان التام، حالة الترفة، دون أيّ ذكر لله أو دور.

وإله أرسطو لا يعرف هذا العالم، فكيف يعني به؟
وآلهة ابيقورس قادرة على إسعادنا، إذا أرادت، وإن تحجم فلنّها لا تبالي بنا، مشغولة عنّا بسعادتها.

وإله نيتشه مات، بل لم يوجد إلا في أوهامنا.

وكانوا يرى ما يعاني الإنسان من شقاء وشرّ، وينتهي إليه من مآل، يرى وجودنا واقعاً عبثياً، فيحيط وجود إله أرادنا هكذا، وخلقنا.

ثانياً: لله دور في سعادتنا وشقائنا:

قدّر زينون الصوري حكمة الله، وما أشاعه في هذا العالم من نظام مُحكَم، فدعانا إلى مجازة ما يجري فيه، فتنعم من السعادة بما نصبو إليه.

واستند ابن سينا ولبيتر إلى كمال الله الخالق، فاعتتقدا أنّ هذا العالم أحسن عالم ممكن، في ذاته، وبالنسبة إلى سعادتنا.

وعجز المعرّي عن التوفيق بين وجود إله قادر حكيم جواد وبين ما في هذا العالم من شقاء وشرور، دون أن يؤدّي به ذلك إلى ما أدى بهما إلى الكفر بوجود الله، أو الاستهانة بمحاسبه.

وآمن الخيّام باليه رحيم يغفو عن خطايانا، إن تخلد نفوس، ونُسّأل عمّا نفعل، فما أحجم عن إرواء شهوة، أو التمتع بلذة، شأنه شأن الملحد نفسه!

ونسائل

نسائل مع من سألوا: هل لله حقّا دور في سعادتنا، هل هو يريدها سعداء، ونلقى ما نلقاء، في هذا العالم، من شقاء، ونقدم عليه من شرّ، وننتهي إليه من مآل. ونحاول جوابا صوابا فنقول:

١ - هذا العالم ناقص حقّا

قيل، قال ابن سينا ولبيتر، إنّ هذا العالم أحسن عالم ممكن. وإن نسلم جدلاً أنه كذلك فلا نسلم - أو يسلم فيلسوفانا - أنّ هذا العالم تام... لما نلقي فيه من مظاهر النقص والحدود: حدودنا، ونواقص الطبيعة.

٢- نقص العالم عجزٌ فيه، لا في الله

يريد الله الخير، ويفعله، لأنَّه صلاح وحبٌ.

فإن لم يفعل الخير كله فليس ذلك عجزاً منه، بل في طاقة المخلوق: لا يسع أمهراً نحات أن يصنع من الماء منحوتة، ولا أمهر رسام أن يرسم على الهواء لوحة، وما ذاك لعجز النحات والرسام، بل لنقص في طاقة الماء والهواء.

٣- وهذا العالم يكون بالتالي ناقصاً أو لا يكون

الله تامٌ، وتفرد بالتمام صفة، ملازمة لتمامه، فإن يخلق عالماً تاماً صار هو وهذا العالم كلاماً ناقصين، لأنَّهما فقدا التفرد بالتمام!

وإن نتجاوزُ جدلاً استحالة وجود تامٍ، إن نسلِم بقدرة الله على خلقِ تامٍ، على خلقِ إله أو إلهة، فهذا المخلوق التام ليس هذا العالم.

٤- وجود عالمٍ ناقصٍ خيرٌ من لا وجوده

الوجود خيرٌ من العدم فوجود العالم، وإن ناقصاً، خيرٌ من لا وجوده.

وجود حيٌ يمرض، ويهرم، ويتعذّب، ويموت^(١)، خيرٌ من لا وجوده.

(١) بلامه، إنْ أمكنت نجاة الإنسان من الموت، بقاوه على أرضنا آلاف السنين، وملايين السنين... ثم تنتهي كل حياة، ويتنهى الإنسان، يفوته خلود الدارين!

ووجودُ عاقلٍ حرّ، هدفٌ للضلال والشرّ، خيرٌ من لا وجودٍ.

فإن يكن الوجود خيراً من العدم، والحياة خيراً من الجماد، والعقل أسمى من الغرائز، والحرية أعلى من الجبر، فوجود هذا العالم بانسانه الحيّ، العاقل، الحرّ، خيرٌ من لا وجودٍ.

ثم إن إحجام الله عن خلق هذا العالم الناقص ضياءٌ كلّ ما فيه من خير - على ما يقول ابن سينا - وهذا شرٌ يربو على كلّ ما فيه من شرّ، فخلقه اذاً خيرٌ من عدمه، خيرُ الشرّين.

ونسأل الناقمين على هذه الحياة سؤال هملت: أؤثرون الوجود على العدم أم لا، أن تكونوا أو لا تكونوا؟
إن تؤثروا العدم فانتحروا! رأى كامو أن الانتحار هو الحلّ فلم أحجم؟!

حبّ الحياة أقوى من متأهات العقول، أقوى وأحكم، والحيّ - عاقلاً أو غير عاقل - يجاري طبيعته، فلنطمئنّ الى حبنا الحياة!

٥ - والانسان يتتطور

التطور ناموس الكون، وناموس الأرض والانسان نفسه.
أنّ نوعنا الراهن خلفَ انواعاً سابقة، وكلّ نوع كان أرقى من سابقه.

ويرى العلماء أنّ تطور الإنسان النوعي قد انتهى فلن يظهر على أرضنا نوع جديد، ولكنّ تطوره العلمي والخلقي ما زال مستمراً.

انَّ الحرص على السلام يتزايد، والعدالة في العالم تقدم.
 وسيظلُّ الانسان يتتطور، يتقدّم في حرصه على السلام والعدالة،
 وفي كلّ ما يزيد من سعادة الانسان، ويخفّف من أسباب شقائه.

أنت لا تفهم ما الغاية من إعمال إزميل في صخرة قبل أن
يُنجز النحّات عمله، وترى المنحوتة. وسيفهم الانسان ما على
أرضنا في يومنا من أسباب الشكوى، اذا ما تبيّن فيها مرحلة على
طريق انسان أرقى، وحياة أسعد.

التطور والتقدّم واقع الكون، سرُّ ما فيه من كمال وجمال،
وكمالِ الانسان وجماله.

٦ - وإن تسألْ

إن تسألْ لماذا لم يخلق الله الانسان أتمّ، أذكى عقلاً، وأقوى
إرادة، وأقوم خلقاً، وأسعد حالاً... أجبْ:

- ١- أتعي مدى حكمة الله في خلقه لتحكم، وتحاكم؟ أبجادل
أمّي، مثلاً، في نسبة انشتين الرياضيّة؟ والتفاوت أكبر أكبر!
- ٢- أتعي مدى هذا الكون زماناً ومكاناً، لترى موقع انساناً
فيه، وتحكم على مستوى هذا الموقع، وصلاحه؟
- ٣- أتعي آفاق التطور، تطور الكون والانسان، لتعرف ما
سيكون الانسان الآتي، فتحكم عليه، وعلى حالقه؟
 وإن يخلق الله بعد انساناً أتمّ من انساناً، فهذا الانسان الجديد
ناقص حتماً، ويمكن خلق انسانٍ أتمّ، وهكذا الى ما لا نهاية له.

فدعْكُ، أَنْحِي، مِنَ الْمَكَنَاتِ، وَلَنْ حُكِّمْ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ الْقَائِمِ، بِكُلِّ
مَا فِيهِ، وَقَدْ قِيلَ، وَقُلْنَا، مَا يَبْرُرُ وَجُودَهُ، وَإِيجَادَهُ.

٧ - وَتَسْقُطُ الْاعْتِراضَاتُ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ هَذَا الْعَالَمُ

لَا يَتَنَافَى خَلْقُ اللَّهِ هَذَا الْعَالَمُ وَقَدْرَتِهِ، أَوْ حَكْمَتِهِ، أَوْ جُودَهِ.
لَيْسَ نَقْصُ الْعَالَمِ دَلِيلٌ عَجَزٌ، أَوْ عَبْثِيَّةٌ، دَافَعَا إِلَى الْقِيَاءِ، أَوْ
الْإِلَحادِ، عَلَى مَا يَرَى سَارِتُرُوكَامُو، وَأَمْثَاهُمَا.

فِي الْعَالَمِ السَّعَادَةُ وَالشَّقَاءُ، وَيَتَطَوَّرُانِ تَطْوِيرًا عَكْسِيًّا، السَّعَادَةُ
تَزِيدُ، وَالشَّقَاءُ يَنْقَصُ. وَإِنْ سَيَظْلِمَ فِي الْحَيَاةِ مَا يَشْقِيُ، وَسَيَظْلِمُ
فَظْلَالُ الْلَّوْحَةِ لَا تَضِيرُ جَمَاهِيرَهَا، بَلْ تَسْهِمُ فِي قَدْرِهَا، وَتَأْلِفُهَا،
وَالْمُضَدُّ يُظْهِرُ حَسَنَهُ الْمُضَدِّ!

بـ- دور المرأة في سعادتنا وشقائنا

أهمّ من تصدّوا للدور المرأة هذا ممّن ورد ذكرهم في بحثنا
ثلاثة: المعرّي، والخيّام، ونيتشه.

فالمعرّي متشارّم يقسّو على المرأة، يرى فيها أدّة فساد في
الجتمع، وشقاء في البيت، فيودّ لو لم تكن:

بدء السعادة ان لم تخلق امرأة!

ويخالفه الخيّام، يرى في المرأة متعة رجل، وجليسة انسٍ
وكأس، ويأنّى الحياة دونها:

لا عشتُ إلّا بالغوانى مُغرماً!

ويطلع علينا نيتشه بحكِّم هو عنوان هذا الكتاب: السعادة
امرأة.

ويحتمل هذا العنوان معنيين:

الأول ما عنده نيتشه في هذا النص:

"الليل ظلّ صافياً، ساكناً، والسعادة نفسها أنت تطوف،
وتدنو من زرادشت^(١)."

ولدى الصباح أخذ زرادشت يضحك، ويقول ساخراً:
السعادة تلاحقني، لأنّي لا ألتحق النساء، وهل السعادة الآ
امرأة؟!"^(٢).

(١) زرادشت: هو نيتشه نفسه.

(٢) كذا تكلّم زرادشت: السعادة المفروضة.

ويعني نيتشه ما يعنيه كلام مأثور: المرأة كظلّك طارْدُها
تهربْ منك، واهربْ منها طارْدُك!

واهرب ليس للنجاة من الشِّباك، أو ليس دائماً كذلك، بل
لإذكاء الرغبة في الطريدة: انه لون من ألوان الدلال ظاهره بعد،
وباطنه توقّ الى وصال.

أما المعنى الثاني، الذي يحتمله العنوان (السعادة امرأة) فهو أنّ
الساعي الى السعادة يجد سعادته، كلّ سعادته، في المرأة. وما توخي
نيتشه هذا المعنى.

ما عنده نيتشه بقوله (السعادة امرأة) لا يعبر عن دور المرأة في
السعادة، بل هو تشبيه السعادة بها، وما يمكن أن تعنيه العبارة
بالنسبة الى دور المرأة في السعادة ما توخيه نيتشه.

على أنّ لنيتشه حكمـاً آخر على دور المرأة في السعادة، اذ
يشبهـها بالحياة، وذلك في كتابه (العلم الجذلان) حيث يقول:
"العالـم مـفعـم بـالأـشـيـاءـ الجـمـيلـةـ،ـ ولـكـنـهـ ضـنـينـ كـلـ الضـنـ
بـالـهـنـيـهـاتـ الجـمـيلـةـ،ـ بـالـبـوـحـ بـمـاـ فـيـ تـلـكـ الأـشـيـاءـ.ـ ولـعـلـ ذـلـكـ أـفـتـنـ ماـ
فـيـ الـحـيـاـةـ:

انـهاـ تـقـنـعـ بـقـنـاعـ مـطـرـزـ بـالـذـهـبـ،ـ

وـاعـدـ مـانـعـ،ـ

عـفـ سـاحـرـ،ـ

رـؤـوفـ فـاتـنـ،ـ

حـافـلـ بـإـمـكـانـاتـ جـمـيلـةـ.

"أـجـلـ،ـ انـهـ الـحـيـاـةـ،ـ فـالـحـيـاـةـ اـمـرـأـةـ!"

الحياة سعادة وشقاء، ومثلها المرأة، تعاقبُ أضداد:
تُقبل وتُدَرِّبُ،
تدنو وتنأى،
تحنو وتقسو،
تصل وتجفو،
تحبّ وتبغض،
تفي وتخون،
تعلّي وتحطّ،
تضحك وتُبكي،
تعُبُّدُ، وتعُبَدُ.

أنّها الهناء والشقاء، ابنة حواء، حلوة ومرّة،
"وأحلى امرأةٍ مُرّةً!" (نيتشه: كذا تكلّم زرادشت: الفتاة
والعجز).

الرأي في ما قيل

يقسّو المعرّي على المرأة، لا يرى فيها ما يُسّعد، بل ما يُشقي
ويُفسد، يقسّو ويجرّور.
ولا يرى الحياتم في المرأة سوى لذّة الحسّ والانس، ومتعة
الأجساد، لا يرقى إلى مناهل النهي والشعور والفنون، ويصبح فيه
ما تقوله الشاعرة الكويتية سعاد الصبّاح في قصيدتها
(كنْ صديقي)، وهذه بعض أبياتها:

كنْ صديقي...،

انَّ كُلَّ امرأةٍ تحتاجُ أحياناً إلى كفٌ صديقٌ...،

وكلامٌ طَيِّبٌ تسمعه،

وإلى خيمةٍ دفءٍ صنعت من كلماتٍ،

لا إلى عاصفةٍ من قُبلاتٍ...،

كنْ صديقي،

إنّي أحتجُ أحياناً لأنْ أمشي على العُشبِ معكُ،

وأنا كامرأةٍ يُسعدني أنْ أسعكُ،

فلماذا، أيها الشرقيُّ، تهتمُ بشكلي،

ولماذا تبصِّرُ الكُحْلَ بعيونيَّ،

ولا تبصِّر عقلي؟...،

لماذا لا ترى في معصمي إلَّا السوارُ،

ولماذا فيك شيءٌ من بقايا شهريلارُ؟...،

إنَّ كُلَّ امرأةٍ في الأرض تحتاجُ إلى صوتٍ ذكيٍّ،

وعميقٌ...،

فلماذا تُهمل البعدُ الثقافيُّ،

وتعنى بتفاصيل الشيابُ؟!...،

كنْ صديقي،

فأنا محتاجةٌ جداً لminoاء سلامٌ

وأنا مُتّعبَةٌ من قصصِ العِشقِ، وأخبارِ الغرامِ،

وأنا مُتعمَّةٌ من ذلك العصر الذي

يعتبر المرأة تمثال رُخّام،

فتكلّمُ، حين تلقاني،

لماذا الرجلُ الشرقيُّ ينسى،

حين يلقى امرأةً، نصفَ الكلام؟!

ويقتصر نيتشه، في نظرته الى المرأة، على ضدين، على فتنٍ
واعدة، وعفةٌ مانعة، يشبهها بالحياة، والحياة عطاء وحرمان، هناء
وعناء.

المرأة نساء

والحق أنّ المرأة تحوز ما قيل فيها، ما قال المعرّي والخيّام
ونيتشه: إنّ المرأة نساء.

انّها العاهرة الماهرة، تثير الغرائز، تعبث بالعفاف والوفاء،
تزرع الفساد، تهدم الاسرة وتشرد الأولاد. وما لهذا وجدت، او
هذا هو الإسعاد.

وانّها الحبيبة، المقبلة المدبّرة، على ما يقول نيتشه، وهما
الزواج، اكتمالها بالرجل، واكتمالهما بالأسرة، فأقبلٌ مثلها
وأدبرٌ... وتزوجا!

وانّها الصديقة تؤنس، وتعين، على أن تُسعد ولا تفسد.

وانّها الجمال، الذي يخفّف من أذى القبح، ويحبّب بالحياة،
فاسمعها مغنية، وتأملها راقصة، واذهب اليها مثلاً، وكفر بنعمتة الله
ان تمحجّب وجهها بمحجّب، وما الله الذي أمر!

وأنّها الإنسان، الذي تطور وتحرّر، وما زال يتتطور ويتحرّر، ينافس ويصارع ويُقلِّق، يعلم ويسوس، يبحث الرجل على مزيد من الجهد، ومن النجاح والرقيّ والتقدّم... يرقى به ويسعده.

وسعادة المرأة؟

ان تكون المرأة، كما أريد لها أن تكون، إن يجد فيها الرجل أحد أسباب سعادته، فما سعادة المرأة؟

تكلّم الرجل عليها كلام التوراة، حسبها خلقت لسلواد، لأنّه وهنائه، حسبها وسيلة، وهو الغاية.

هذه النظرة نتيجة واقع تاريخيّ تفرد فيه الرجل بالتعلم، واستثمار الحيوان والتربة، وقضى على المرأة بالجهل، والفقير، وأشغال المنزل.

ولكنّ التطور خطأ خطأه، فتعلّمت المرأة وملكت، وتنافس الرجل، تبحث عن السعادة بمحنة عنها، ففيما سعادتها؟

أنقول انّ سعادتها في أن تسعده الرجل، وتظلّ وسيلة والرجل الغاية، أم نقول - والقولرأي - إنّها تسعده الرجل، وتسعد به، فهما في سعادتهما المتبادلة صنوان سيان؟

أحد أسباب السعادة

سعادة الرجل بالمرأة ألوان، ومثلها سعادة المرأة بالرجل. وهذه السعادة ملازمة لكلّ رجل وامرأة - وإن يحاول الزهد فيها رجال ونساء - وقل، إن شئت، إنّها ألحّ السعادات وأعنف.

ولكنّ هذه السعادة لا تختصر السعادة، أو تتحكر، بل هي
أحد أسبابها.

أسباب السعادة كثيرة، متفاوتة عمّقاً وسماّ، وتباين طاقات
البشر وحظوظهم، تباين وتفاوت، فتباین أسباب سعادتهم
وتفاوت، سعادة كلّ رجل وامرأة.

لكلّ انسان سعادته الخاصة وأسبابها، بل سعاداته، أمّا سعادة
الرجل والمرأة المتباينة فسعادة شاملة، سعادة كلّ الرجال والنساء.
وعلى الإنسان أن يشكر ربّه شكراً جزيلاً، لأنّه خلقه رجلاً
وامرأة، خلقه هكذا لي-dom، وتدوم إحدى سعاداته، وأصدقها به.

سعادة وشقاء

لا ريب في سعادة الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل: سعادة
الحبّ، ورفقة الزوجين، وحنان الوالدين.

ولكنّها سعادة لا تخلو من الشقاء، من عذاب الحبّ - وكم
شكّا منه الشعراء! - ومن مصاعب الحياة الزوجيّة، وتربيّة الأولاد.

الشقاء تربُّ كلّ سعادة!

ج- دور المال في سعادتنا وشقائنا

تصدّى فريق مُن ورد ذكرهم في بحثنا لمشكلة المال، مشكلة الفقر والغنى، ويمكن إيجاز آرائهم في موقفين:

الأول موقف أرسسطو، الذي قدم العقل، ميزة الإنسان، فقدم الحكمة والفضيلة، وعدّهما سبيل السعادة.

ولكنّه لم يهمل دور المال، فرأى في الغنى تابعاً ملازماً للسعادة، مكملاً لها.

والثاني موقف داعين إلى الزهد في المال والغنى، وتعدّدت الدوافع:

- **فاهندوسى والبودي** يريان في طلب المال شاغلاً عن طلب السعادة الحقّ، سعادة الاستغراق في الله، ثمّ الفناء فيه، أو سعادة النرقانة، فيدعوان إلى الزهد في الغنى، ويكتفي الراهب بصدقات الناس مورداً عيش.

- **وابيقورس** يكتفي بالضروري لعيشـه، بما يقيه الجوع والموت. الغنى الفاحش فقر مدقع، والصديق خير ثراء.

- **وزينون الرواقي** يرضى عن الفقر رضاه عن كلّ ما يجري في الطبيعة، عن كلّ ما لا بدّ منه. حوف الفقر تعasse، "إإن تشته، أو تكره ما هو ملكُ سواك، تعشْ عبداً!" (أبقتاتوس).

- **والمعري** قانع بثلاثين ديناراً في العام، زاهد في رغد العيش، في اللحوم والخمور، لما يتكلّف ذلك من عناء التحصيل، ويجبرّ إليه من حرام:

قوتي غنائي، وطمرى ساتري، وتقى
مولاي كنزي، وورد الموت موعدى!

الواقع

والواقع أنَّ المال، بمفهومه الواسع، حاجة انسانية شاملة،
حاجة بقاء، وتقدُّم، وهناء، نحصلُه أو نُعطاه، فلا يدعينَ أحداً
الاستغناء عنه.

والمشكلة اذاً ليست في أن يكون لنا مال أو لا يكون، بل في
مقدار حضُّنا منه، ودوره في سعادتنا. والناس بالنسبة إلى ذلك
فتات:

- فئة فقيرة، عاجزة عن القيام بمحاجات الجسد، وورود
مناهل العلم.

هذه الفئة مغبونة، حاسدة، حاقدة، تعيسة، ومن حقها أن
تعنى الدولة بها. وإن تُقصِّر الدولة، أو تُهمِّل، يتراكم الفقر،
يتراكم ويتوارث... ومن يقي الحاكم ثورة البائس اليائس؟!

- طبقة وسطى، لا فقيرة ولا غنية، حاصلة على ما تحتاج
إليه من مقومات العيش الكريم، وهناء الإنسان.

ولكنَّ هذه الفئة لا تعتبر من هم دونها فتشكر ربها، بل تنظر
إلى من هم أغنى، فتشعر بالغبن والحسد، والبغض، بما يعكس صفو
عيشها.

ونجاتها في أن تطمع، تنافس وتجدّد، تربح أو لا تربح... ثم
تقنع راضية بواقعها. من البلاهة طموح كلَّ إنسان إلى أن يصير
أغنى إنسان!

- وطبقة غنية، متفاوتة الغنى، متحاسدة. ويمكن اختزالتها بنوعين:

الأول غني بماله وبشخصه، بما يملك وبما هو، حصل مالاً، أو ورثه، وحصل ما قدر عليه من حقٍّ وخير وجمال... حصل، ويُيدع، ويوزع، فيُقدر نفسه، ويقدّره الناس، يقدّرون، ويحبون، ويُسعدون.

والنوع الثاني غني بماله، مستغنٍ به عن الغنى الإنساني، مستغنٌ أو عاجز، سعيد بما لديه من ملبس، ومسكن، وأكل، ومن سيارات، وطيارات، ويختوٰن، ورحلات... أو بما يتيسّر له من كل ذاك.

هذا النوع من الأغنياء سطحيٌّ، عايش على أشياء، فلا يلبث أن يشعر بفراغ، فراغ ما يملك، وفراغه، وفراغ من حوله. يشكّو هؤلاء الأغنياء من كذب الأصدقاء، أو من يدعونهم أصدقاء. وهم على حق: المال لا يصادق المال، وهم غير جديرين بالصداقة، فأئّى لهم صديق صادق؟

وأفضل ما يلجم إليه هذا النوع من الأغنياء بالمال، القراء بالصفات الشخصية، توظيف مالهم في مشروع خيري يعكس عليهم تقديرًا صادقاً، وقد ينعكس صداقات.

لا بدّ من المال لحياة الإنسان، بل للإسهام في سعادته - على ما يقول أرسطو - إنما علينا ألا نكتفي به، ألا نحيا في ما ليس الحياة، ونبحث عن السعادة في ما ليس السعادة،
فما بالمال وحده يحيا الإنسان، ويسعد!

د- دور رغباتنا في سعادتنا وشقائنا

للسعادة بالرغبة، برغباتنا، صلة معلولٍ بعلة.

وقد تصدّى لهذه الصلة من ورد ذكرهم في ما تقدم من هذا البحث، ويمكن اختصار آرائهم في موقفين:

الأول: الرغبة عن الرغبات لأنّها مصدر بلاء وشقاء، وهذا موقف تشاؤميّ، موقف بوذا، والمعريّ، وشوبنهاور.

فيهذا يحجم عن كل رغبة، يساوي بين الأضداد، بين المرض والصحة، والهجر والوصل، والهرم والشباب، الموت والحياة...، ليبلغ حالة الاطمئنان التام، حالة النر凡ة.

والمعريّ يزهد في ما يرغب فيه الناس، يزهد في المال، والحمد، والزواج، الصداقة، والحياة نفسها... لما يكلّف ذلك من عناء وفشل، ويؤدي إليه من فساد.

أما شوبنهاور فيرى أنَّ كلَّ رغبة، ما دامت رغبة، تؤلم. وإن هي أشبعت، وأسعدت، فلا تثبت أنَّ تهمد، وتُضجر.

الموقف الثاني: موقف إيثار، إيثار رغبة أو رغبات، والاكفاء بإشباعها سعادة.

فهم الهندوسيّ، مثلاً، الفناء في الله، وسعادة ارسسطو في الحكمة، ويكتفي أبيقورس قوامُ الجسد وراحة البال، وصحبة الاصدقاء، وخيار زينون مجازة الطبيعة، ويكتفي الخيّام بالخمرة والمرأة، وابن سينا ولبينتز بما يلقيان في هذا العالم، ويطمح نيتشه إلى التفوّق والسيادة، وألان إلى العمل الحرّ المبدِع، وكamu إلى التمرّد وما في لقاء الأجساد من نشوّات.

ونحاول تحديد صلة السعادة بالرغبة فنقول:

١ - السعادة رغبة كلّ انسان

كلّ انسان يشتهي السعادة، على ما يقول بسكال، يصبو
إليها ويسعى، وإن تفاوتت الشهوة والسعى.

وهو، في سعيه هذا، لا يقنع بحدود، لا يُشبّع له جوع، أو
يُروى ظمآن، على ما يقول القديس أوغسطينوس: "إن قلبا في قلق
إلى أن يجد راحته فيك، يا الله!"

٢ - السعادة رغبة الرغبات

نحوّى، في كلّ ما نقدّم عليه، أو نُحجم عنه، سعادتنا، ولا
نتوسل بسعادتنا هدفًا أسمى.

السعادة غاية، غاية الغايات، وكلّ ما سواها وسائل إليها.
هي الخير الأسمى، وكلّ خير آخر أدنى.

٣ - السعادة إشباع رغبة

إن لم ترحب في شيء، وتشبع رغبتك، فلست تشعر بسعادة:
أسمى سعادة ثمرة رغبات.

٤ - نسبية الرغبات فالسعادة

ليست السعادة واحدة، نوعاً معيناً، صحنَ وليمة فاخرة
تنسابق عليه، نحصل عليه أو لا نحصل.

الرغبات رغبات انسان، ولكلّ انسان قوى وأوضاع.

لكلّ انسان حواسه، وخياله، وشعوره، وعقله، وإرادته،
وذوقه...، ولكلّ انسان وضعه العائليّ، والاجتماعيّ،
والاقتصاديّ، والسياسيّ، والدينيّ... .

تبادر قوى البشر وأوضاعهم، تباين وتفاوت، وكذا
رغباتهم والسعادات.

ورأفةً هذان التباين والتفاوت، لأنّهما يعدهان أنواع السعادة،
فيحدّان من عنف التنافس عليها والعداء.

٥ - حدود الرغبات فالسعادة

تتعدد رغباتنا فسعادتنا، وكلّها محدود:

١ - حدود طبيعتنا: فعقلنا محدود لا يعلم كلّ معلوم، أو
يكشف كلّ مجهول، يتّيه بين الظنّ واليقين، والضلال والهدى،
والتقليد والإبداع...

ويرادتنا محدودة تؤثر العمل ونكسـلـ، ندعـوـ إلى السلام
ونعتـدىـ، نعظـمـ من شأن العطاء ونبـخلـ، نقدـرـ التسامح ونتـعـصـبـ،
نطالبـ بالعدلـةـ ونـظـلـمـ، نـدـعـيـ نـظـافـةـ الـكـفـ وـنـسـرـقـ، نـشـيدـ بـالـعـقـةـ
وـلـاـ نـعـفـ...

وحواسـناـ محدودـةـ فالـعـيـنـ لاـ تـرـىـ كـلـ الأـلـوانـ، والـاذـنـ لاـ تـسـمعـ
كـلـ الأـلـحانـ، والـلـسـانـ لاـ يـذـوقـ كـلـ الطـعـومـ، والأـنـفـ لاـ يـشمـ كـلـ
الـطـيـوبـ...

وـشـعـورـناـ محدودـ إنـ نـحـبـ فـإـلـىـ عـمـقـ وـمـدـىـ، وـانـ نـفـرـحـ فـإـلـىـ
زـمـنـ...

وخيالنا محدود، محدودُ الخلقُ والاستيعاب ...

٢- **وحدوَّ الطبيعة:** غنى الطبيعة محدود فالترية لا تجود بكل ما نحتاج اليه من ضروريات العيش، والكوارث تقضي على ما تخفي الأيدي، وفي الحيوان المفترس والسام، وفي الجراثيم ما يُمراض ويقتل ...

٣- **وحدوَّ مستوى الرغبات:** لا يُسعدنا إشباع أي رغبة، بل ما جل قدره، وعسر نيله، أو طال انتظاره. ففي مجال العلم، مثلاً، لا تسعدها أي معرفة، بل معرفة متفوقة، اكتشاف علمي، أو رؤيا فلسفية، أو ثقافة واسعة... وفي باب الخير لا يُسعدنا أي فعل، بل فعل بارز، التضحية بغالٍ، مثلاً، من أجل قضية... وتنتصر القضية! وفي باب الشعور لا يسعدنا أي سرور، بل نشوء ترافق الفعل أو تعقبه...

سمو الفعل وصعوبته، والتفوّق في انجازه، مقاييس قدرته على إسعادنا.

لا، ليست السعادة حبذا اليومي، أو عقدَ جيد يتضرر الحسناء في خزانة.

٤- **وحدوَّ العمر:** وهبْك سعيت وتعبت، وهبْك راضيا عمّا أشبعك من رغبات محدودات، وسعادات عاديّات، أو فائقات، فكل ذلك الى زمن، الموت في المرصاد، وكل دنيوي الى زمن.

٧- الحالات الثلاث

يصلّى الباحثون في السعادة، قد يهم وحديثهم، إذ يحسبون السعادة والشقاء نقىضين، لا ضدّين^(١).

لا، ليست السعادة نقىض الشقاء، ليس كلّ انسان سعيداً أو تعيساً، وعلى مدى العمر. لا يكفي أن تغيب عنك السعادة حتى تكون شيئاً، أو أن يغيب الشقاء لكي تكون سعيداً.

ثلاثٌ حالات الانسان:

الأولى الحالة العادّية، اليوميّة، الحالة الباهتة الحائرة، كبرى مساحات العمر. هذه الحالة ليست السعادة، وليس الشقاء، بل وضعٌ متراوح بينهما يدنو من السعادة ولا يلتفها، أو يلامس الشقاء، ولا يصبحه، أو يستقرّ وسطاً استقراراً الماء الفاتر ما بين الحارّ والبارد.

والحالة الثانية حالة السعادة، وهي حالة طارئة، شعورٌ خموم، ورضيٌّ ميسور، تحضر وتغيب، وقد لا نقدرها حقّ قدرها الاّ بعد زواها... كزمان الوصل في الأندلس!

والحالة الثالثة حالة الشقاء، وهي حالة طارئة أيضاً، حالة ألم وسخط، وقد تؤول الى عويل. وهي تحضر كذلك وتغيب، وشعورنا بها يصحبها، وقد يجوز زمانها.

ونسأل: ما نفعل في هذا الحالات الثلاث، ما الموقف المأثور:

(١) الأسود والأبيض ضدان، أما الأسود وغير الأسود فنقىضان: كلّ لونأسود أو غير أسود.

١- في الحالة العادّية

على الانسان، في الوضع العاديّ، أن يكون راضياً، شاكراً لا ناقماً، فما فضله على الحياة حتى ينقم أو يشكوا، وما حقوقه على الله حتى يجدّف أو يحاسب؟

والانسان في الواقع قانع، راضٌ عما هو فيه، وان تمنى، ونافس، وحسد: انه راضٍ ما دام الشقاء لا يطرق بابه، أو يُعمل فيه أنيابه.

٢- في حالة الساعي الى السعادة

على الانسان العاقل الحكيم:

- أن يسعى الى سعادته: السعادة غاية الحياة، شهوة طبيعية، فمن الحماقة التوانى عمّا تتواخاه الحياة، أو تصبو الطبيعة إليه.

لا يجوز الكسل، أو اليأس، وجبان من يقظ أو ينتحر.
الطموح، والسعى، والنجاح، والتلّفّ... سبيل الى السعادة،
وقلّما أتت اتفاقاً، ومن باب الحظوظ.

- أن يراعي طاقاته وأوضاعه: قلنا ان السعادة نسبية، متباعدة ومتفاوتة، فعلى العاقل أن يعمل ما أُعدّ له. عليه أن يراعي قواه، وأوضاعه، يختار ما اعدّته له طبيعته، وتعدّه ظروفه، ما يقدر عليه ويحبّه، وهو كثير ومتّوّع:

كنْ فناناً، أو مفكّراً، أو فيلسوفاً...
اعملْ في الزراعة، أو الصناعة، أو التجارة، أو السياسة...
اعملْ وابنْجْ!

كنْ طبيباً، أو مهندساً، أو عالماً في مختبر، أو محاماً، أو
قاضياً...

كنْ رسولاً يهدي الناس إلى الخير، يهدي بالكلمة والقدوة...

اختر لعبه رياضية، احترفها، أتقنها وتفوق فيها...

ما أكثر الأعمال، وأكثرها مجال للنجاح، والاهناء...

السعادة فنّ، ومن أعسر الفنون، فحاول التفوق فيه: احذر

الغرور بالنفس، أو الكسل، اختر أفضل ما تقدر عليه، ما أعددتَ

له، وأعد لك، وتفوق فيه، تعش سعيداً، أو أسعد ما أنت عليه

أقدر، وبه أحذر.

- أن يقنع بسعادة محدودة: رأينا أن السعادة محدودة،

فحدوتها تلك تقضي على طاليها أن يكون قنوعاً، راضياً عمّا

أشبع من رغبات، ويُشبع، عمّا أعطي ويعطى.

عليه أن يقنع قناعة الواقع العاجز، لا قناعة الكسول أو

اليائس. عليه أن يقنع، بل أن يحمد الله على ما تجود به الحياة من

مناسبات السعادة ينعم بها، ثم يخترنها زاداً لأوقات الشقاء.

٣- في حال الشقاء

الشقاء تربُّ السعادة، ثُمَّ لها، ولا الحال أحداً يدخل بالثمن،

يرضى الحرمان من كلّ ما يُسعِد لقاء السلامة من كلّ ما يُشقي.

الشقاء والسعادة توأمان، قدَّر كلّ إنسان، وإن لم تتساو كفتا

الميزان، فما وطئ آدميًّا هذه الأرض إلاً وتناوباً عليه، فمن

السذاجة توهّمنا القدرة على السلامة من كلّ ما يشقي.

على أن للشقاء حدودا، وجدوى، وسياسة:

أولاً - حدوده:

ما كل مُقلقٍ يُمشق: ما اي فشل، او صداع رأس، او أوجاع ضرس، او اي قبحٍ، او هجر. الشقاء مستوى ومدى، وضعٌ لا يطاق، ومدة تطول، فلا تقابل اي بلوى بالشكوى، وأي محزنٍ بالندب والعويل.

ثانيا: جدواه:

الألم ينفع، وإن أوجع.

انه اختبار لأغوار، لما تختزن النفس من طاقات، وتختفي من أسرار، فتعلم ما كنت تجهل من نفسك، وتفهم ما يعانيه الآخر اذا ما صار في وضعك، فتضييف عمقا الى أعمالك، وغنى الى غناك. وانه اختبار لقدرتك على تحمله، وتحاوزه، فإذا ما عاودك عاد أخفّ وقعا، ولقيته أقلّ جزعا، فلم تبكِ كلّ دموعك، ولا دموعك تسيل حرّى حرارة المرأة الأولى.

وانه منهل ورده شعراء وفنانون، خبروه وطلعوا علينا بروائع ومفاتن، وأنت لا شك ذاكر ما قاله فرنسيٌّ شاعر:

"لا شيء يسمى بنا سموًّ تباريحة الألم:

أيأسُ الأغاني أجملها،

وأعرف أغانيَّ حالدات

لسن سوى زفرات! ^(١)

(١) من قصيدة (ليلة نوار) للشاعر ألفريد دي موسى.

ثالثاً: سياسته:

وللشقاء سياسته، سبلُ الحُّؤُول دونه، أو الحدّ من وطأته، أو تحدّيه.

- فالحُّؤُول دون الشقاء التزام مبادئ في السلوك تسدّ عليه منافذ العبور، وهذه بعضها، أو أ فعلها:

١ - التروي: لا تسرع في اتخاذ القرار، أو إبداء الرأي، تمَّهّلْ، دعْ ليلك يمرّ، بل دعْ أسبوعك، وشاورِ الأدرى منك، تسلّمْ من أخطار الخفّة، والتسرّع، والنندم... والألم! الرأي، على ما يقولُ المتنبي، "قبل شجاعة الشجاعان"، وإحالك تحفظ مطلع لامية العجم للطغائيّ: أصالة الرأي صانتي عن الخطأ!

بل لا تقدِّم على قرار، أو عمل، وأنت في حالة غير عاديّة، في حالة غضب، أو حزن، أو خوف، أو يأس، أو مرض... بل انتظرْ عودتك إلى وضعك العاديّ الهدائِي السليم.

٢ - الاعتدال: انتصح برأي أرسطو، اجعل من الاعتدال حكمة وعادة وفضيلة.

اعتدلْ في المأكل والمشرب، في الراحة والتعب، في النوم والسهر، في الإنفاق والإمساك، في التساهل والتشدّد، في التوحّد ولقاء الناس، في الزهد والطموح، في البساطة والأناقة، في التواضع والتعالي...

وكلّ اعتدال بالنسبة إليك، إلى ما أنت، وما تملك يداك.

٣- النظام: لا تستسلم للفوضى. حدد، قدر الطاقة، أوقات الأكل، والعمل، والراحة، والنوم، ولقاء الناس... فهذا اقتصاد في الوقت، والوقت عمرك!

ولا تستسلم للارتجال! انظر إلى البعيد، خطّط للغد، وللعام الآتي، بل احسب لكلّ عمر حسابه، ولكلّ طارئ مخاطره.

الويل لمن يعيشون في فوضى، أفراداً وأمّا، وفي يومهم العابر، لا يخضعون لضوابط في سلوكهم، ولا يخطّطون لغدتهم ومصيرهم!

٤- سعة الصدر: سعة الصدر سياسة العقلاء، وقوامها اثنان:

الأول وعي حقوق الآخرين، والحرص على احترامها، وتفادى كلّ ما يؤذيهما، أو يحطّ من شأنهما. فهذا يقيك عداوات، ويكسبك احترام الناس.

والثاني التساهل، ضمن حدود معقولة، مع من يتطاول على حقوقك، فلا تطالب ولا تعاتب، وإن تفعل فبكثير من الفطنة واللطف. والصمت، أكثر الأحيان، أولى، والصفح من هذا الباب: لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب!

ولا تنس شعرة معاوية، إن يجذبها الآخر أرخيها، وإن يُرخيها اجذبها، لكي لا تنقطع الصلات، ويخلفها الجفاء... والعداء.

٥- الإحجام عمّا يضرّ: ما يضرّ يُشقّي، وقد يؤدي بالحياة وهو كثير كثير، وأنت تعرف أكثره، وطبيتك به اعرف، ولا تستهنّ بما صار للطلب من طول وحول.

أحجم عن كلّ ما يضرّ، وشقّي من تستعبد عادات، شهواتٌ
وشهادات!

- والحدّ من وطأة الشقاء، اذا ما قسا وطال، لجوء الى ما
يسهل احتماله، ويسهل عملٌ مريح، أو تذوق فنّ، أو حقّ تعرفه
وتوزّعه، أو حرارة أسرة، أو انس صدقة... وكلّ ما يتمنى من
نعم الحياة.

وأقدر ما يسهل مثالٌ أعلى، نضالٌ من أجل قضية، أو تسليم
لمشيئة الله، الصبرُ على الألم، وإن يومياً، والثواب سعادة الآخرة.

ولا نصح بعزلة أبي العلاء فهي شقاء على شقاء.

- أمّا تحدي الشقاء... فلماذا؟

لماذا يتحداه، يعاشه مدى الحياة، من غابت سعادته، وطمّت
تعاسته، لماذا يحرص على الحياة، مثلاً، من مرض المرض العضال،
ويعلّي تباري العذاب؟!

الواقع أنَّ المتحدين كثير، يعانون الشقاء المرير، يعانون ولا
ينتحرّون.

ويستحيل ذكر الأسباب، كلّ انواع الأسباب، التي تحدو بهم
إلى هذا التحدي، أو ترد على مستهم أسباباً.

ونختصر، نقتصر على من درسنا من فلاسفة وحكماء، فنرى
لماذا تحدي بعضهم، أو ادعى أنه تحدي:

- فالهندوسي يقاسي شقاء الحياة، بل يزهد في مفاتها،
ويتحرّر من أهوائها، لأنّه يتوقع سعادة الفناء في الله، والنجاة من
تناسخات متجددّة، وتجدد الشقاء.

- وليس الأمر كذلك بالنسبة إلى بوذا، فالامير الهاوب من ولائم القصور إلى صدقات المارة على الدروب، يتحدى الشقاء البشريّ، يساويه بالهباء، فلا يبقى شقاء! والسؤال: هل هذه المساواة من الممكنات، وهل البوذيون يساوون؟!

- ونصل إلى المعريّ، إلى الفقير الضرير الوحيد، الذي يؤثر ضجعة الموت على سعاد العيش، ولكنّه يحجم عن الانتحار، لأنّه "يخشى غواييل السبيل، وقدومه عن الجبار"، يخشى عقاب الله.

- أمّا عذاب الرغبات، والضجر الذي يعقب ما يُشبّع منها، فلا نحبّه شقاء فادحاً، وسبباً كافياً لحمل شوبنهاور على الانتحار.

- ويستوقفنا ڪامو، الذي يُحجم عن الخلاص من عبئيّة الحياة بالانتحار، يُحجم:

لأنّ الانتحار استسلام للعبئيّة، شرّ على شرّ، ونخيا ليصبح للحياة معنى،

ولأنّ الحياة عزيزة على الإنسان،

ولأنّ للحياة سعادتها، عنانَ جسدتين!

نستخلص مما تقدّم أنّ ثمة سببين حقيقيين لتحديّ الإنسان الشقاء وهما:

حب الحياة، نزوع كلّ حيّ إلى بقائه نزوعاً فطرياً وجودياً،
والإيمان بالله والآخرة، بعثاب المنتحر، وثواب الصابر على آلام الحياة.

يتحدّى الإنسان الشقاء، يعانيه مدى العمر، حرضاً على الحياة، يدفع ثمنها، ثمنَ كلّ الغواي!

ويتحداه المؤمن، يصر عليه، يعانيه مدى العمر أيضا خشية معاناته مدى الأبد، بل هو يرجو لقاء تحديه ثواب الله العادل.

حب الحياة والإيمان بالله والآخرة سببا تحدي الشقاء. وما يُذكَرُ غير ذلك من أسبابٍ ذرائع، إيهام الناس، أو توهّم المتحدي.

مقدّمات ونتائج

سألك، في مقدمة هذا البحث، هل أنت سعيد في دنياك،
ووعدناك بجواب.

وسألنا فلاسفة وحكماء، سألنا ثلاثة عشر، وسألنا انفسنا
ايضاً، وأتضحـت لنا مقدّمات ونتائج:

للمقدّمات:

- ١ - أنّ هذا العالم محدود ناقص، ومنه انسانه، وسعادةُ هذا
الانسان.
- ٢ - أنّ وجودَ محدودِ ناقص خيرٌ من عدمه، وبالتالي وجود
الانسان وسعادته.
- ٣ - أنّ السعادة رغبة كلّ انسان، غاية غایاته.
- ٤ - وأنّ هذه السعادة نسبية: متباعدة تباين طاقات الانسان
وأوضاعه، متفاوتة تفاوتها.
- ٥ - أنّ سعادة الرجل بالمرأة سعادة كلّ الرجال والنساء،
ولكنّها، على خلاف ما يوهم عنوان الكتاب، ليست كلّ السعادة،
ولا هي خالية من الشقاء: السعادة امرأة، لا كلّ السعادة، ولا
كلّ امرأة، ولا كلّ ما في المرأة.
- ٦ - أنّ الشقاء واقع الانسان، ونسبة ايضاً.
- ٧ - أنّ بين السعادة والشقاء مساحة من العمر، مساحة
كبيرى، لا هي السعادة، ولا هي الشقاء، بل مراوحة بينهما.

والنتائج:

أنّ على الإنسان:

١ - أن يؤمن بوجود السعادة، وأن يتبيّن سعادته النسبية
فيؤثّرها بسعيه، كلّ سعيه.

٢ - أن يقنع بسعادة ناقصة، بما يقدر عليه، لا بما يحمل به: أفق
سعادة دنيوية تامة، ومن حطّ يوما في أفق؟!

٣ - ألاّ يستهين بمساحة العمر الكبّرى، المساحة الحائرة ما بين
السعادة والشقاء، فهي مساحة غالبة، خالية من عناء الشقاء،
ومتاعب السعادة، ويبدأنا أن نجعلها إلى السعادة أدنى.

هذه المساحة هي في الحقيقة الحياة، صفوّة الحياة، وما السعادة
والشقاء سوى عَرَضَين، وميظَّي برق عابر^(١).

٤ - ألاّ يغفل عن شقاء الحياة،
دون أن يضخّم منه تصخّيم المتشائمين،
أو يجهل جدوّي اختباره،

أو يُهمِّل التصدّي لأسبابه، وأنجحَ الوسائل للقضاء عليه، أو
الحدّ من وطأته،
أو يخشّاه، اذا ما استفحّ واستعصى، فلا يتحدّاه.

(١) ما يصحّ بالنسبة إلى السعادة والشقاء، والمساحة الكبّرى القائمة بينهما، يكاد يكون
قانونا، فهو يصحّ بالنسبة إلى الذكاء والغباء، والأغنياء والفقراء، والأسخياء
والبخلاء، والمجتهدين والكسالى، والصامتين والثرثاراتين...: الطرفان أقلّيان، والوسط
أكثرية.

هذه مقدمات ونتائج، جواب وعدناك به، حلٌّ لمشكلة السعادة، فلا تستهن بالحلّ، أو تستسهله، وإن بدا لك سهلاً.
وأخطر ما فيه ثلاث:

أولاً: إثمار المرحلة الحائرة ما بين السعادة والشقاء، وهذا أمرٌ فاتٌ كلٌّ من تصدّى لموضوع السعادة.

ثانياً: الإيمان بالحياة، بأنّها جديرة بأن تُعاش، أيّاً تكون مصاعبها، فلا نحدّ من أيّامها، غير آبهين للخسارة، ولعواقب الحدّ.

ثالثاً: الإيمان بالسعادة، فلا نكفر بوجودها، أو نكسل عن السعي إليها، أو نصدق أنّ هذا السعي يدفع بها إلى الهرب منا، نصدق مقوله نيتشه وألان وغيرهما، لا:

ليست السعادة امرأة!

الأسماط اليوغية
الأوبنيشادات اليوغية
نشيد المولى

Walpola Rahula: L'Enseignement du Bouddha

Karl Yaspers: Le Bouddha

أرسسطو: الأخلاق الى نيقوماخوس
ابيقورس: كلمات
ابقناطوس: ملخص

Jean Brun: Le Stoïcisme, l'Epicurisme

Jean Moreau : Stoïcisme, Epicurisme

المعري: النزوميات
الخیام: الرباعیات
ابن سینا: إلهیات الشفاء.

Leibniz: Essais de Théodicée

Schopenhauer - Le Monde comme volonté et représentation
- Aphorismes sur la Sagesse dans l'exixtence

نیتشه: کذا تکلم زرادشت (تعريب المؤلف)
العلم الحذلان

Alain : Propos d'Alain

Camus: Le Mythe de Sisyphe
- L'homme révolté
- L'Etranger

Les quatre fleures (23-24): le Bonheur

Philippe vanden Besch: La philisophie et le bonheur

Emile Bréhier - Histoire de la philosophie

Albert Rivaud - Histoire de la philosophie

- ١ - أصول الفلسفة العربية
- ٢ - فلاسفة العرب (سلسلة من ١٠ أجزاء)
- ٣ - الفلسفة العربية في كبرى قضایاها
- ٤ - حوارات
- ٥ - ما أمسى وما غدی؟
- ٦ - أفياء
- ٧ - الزمان ذلك النحّات
- ٨ - نيتشه، نبی المتفوّق
- ٩ - غاندي، رسول اللاعنف
- ١٠ - جبران في الميزان
- ١١ - الهند ان شدت وهدت (اليوغما - بوذا - نشيد المولى - كاليداسا - كبير - راماكريشنا - طاغور - غاندي)
- ١٢ - جبران ونيتشه
- ١٣ - فکر معی
- ١٤ - في الثقافة وثقافة لبنان
- ١٥ - الانجيل وأعمال الرسل (تعريب)
- ١٦ - نشيد الاناشيد (تعريب)

المحتوى

٥	مدخل
٧	الهندوسي
٢٥	بودا
٣٥	ارسطو
٤٥	ابيقورس
٥٥	زينون الصوريّ
٧١	ابو العلاء المعرّي
٨٧	الخيّام
١٠٣	ابن سينا ولبيتز
١١٥	شوبنهاور
١٣٥	نيتشه
١٥٣	ألان
١٦٣	كامو
١٨١	وماذا بعد؟ :
١٨٣	- دور الله في السعادة والشقاء ..
١٨٩	- دور المرأة فيهما ..
١٩٦	- دور المال ..
١٩٩	- دور رغباتنا ..
٢١٣	مقدّمات ونتائج
٢١٧	مصادر ومراجع
٢١٨	ظهر للمؤلّف
٢١٩	

مطبعة انطون روحانا الشمالي

درعون - لبنان